الفصل الأول

أبو بكر الرازي حياته وأعماله

1 -حياته وأعماله.

2 - إسهاماته في مجال الطب.

3 - إسهاماته في مجال الكيمياء.

obeikandl.com

obeikandl.com

تمهيد:

في هذا الفصل سوف يتعرف المؤلف لحياة الرازي وإسهاماته في مجال الطب والكيمياء من خلال معرفة الظروف المحيطة به، والتي عاشها سواء كانت سياسية أو فكرية أو ثقافية وما إلى ذلك.

لأن التعرف على هذه الظروف تجعل القارئ يصل إلى معرفة فكر هذا الفيلسوف، ويتعرف على أسلوب حياته، ومعالجته للأمور العلمية فالفيلسوف كما نعلم ليس معزولاً عن المجتمع، بل هو جزء من المجتمع الذي يعيش فيه، يؤثر فيه ويتأثر به، فعلم الطب والكيمياء والفلسفة والمنطق وغيرها من العلوم كانت هي السمة الرئيسية التي ميزت شخصية هذا الفيلسوف وفكره الفلسفي العميق، وكيف تناول هذه العلوم بحكمة واقتدار، واستنبط فيها الملاحظات والحقائق العلمية الهامة، والتي أفادت العلماء والفلاسفة فيما بعد، خصوصًا، وأن مولد هذا الفيلسوف العبقري كان في مدينة الري، وهي في ذلك الوقت كانت من أكبر المدن ومن أكبر مراكز الإشعاع الحضاري والثقافي، حتى جعلته فيلسوفًا فريدًا من نوعه وظلت أفكاره وكتبه العلمية تدرس في أغلب جامعات أوربا حتى قرون بعيدة.

وسوف يتناول المؤلف هذا الفصل على النحو التالي:

أ - حياة أبو بكر الرازي وأعماله.

ب - إسهامات أبي بكر الرازي في مجال العلوم الطبية.

ج - إسهامات أبي بكر الرازي في مجال العلوم الكيميائية.

obeikandi.com

أ- حياة أبو بكر الرازي وأعماله:

هو احد المشهورين في علم الطب والكيمياء وعلوم المنطق والهندسة وغيرها من علوم الفلسفة، وكان في ابتداء أمره يضرب بالعود، ثم ترك ذلك وأقبل على تعلم الفلسفة ومناهجها، فنال منها الكثير وألف فيها كتباً كثيرة، وكان أكثرها في صناعة الطب وسائرها في ضروب من المعارف الطبيعية، والإلهية إلا أنه توغل في العلم الإلهي فاضطرب لذلك رأيه وتقلد أراء سخيفة.

إنه أبو بكر محمد بن زكريا الملقب بجالينوس العرب، وذكره ابن جلجل الأندلسي في كتابه أنه مسلم النحلة، عربي الثقافة موسوعي الفكر رازي المولد والمسمى عند أهل الغرب رازير، فهو أديب طبيب مارستاني دبر مارستان الري ثم مارستان في بغداد.

ولقد ولد الرازي في غرة شعبان عام 251 هـ/ 864م/ في الري(لخ) وهي أحد المراكز الثقافية في هذا الوقت وتبعد بضعة كيلو مترات عن طهران الحالية، وهي من أقدم المدن الفارسية، وكان مهتمًا بدراسة الطب والفلسفة وبرع فيها براعة المتقدمين والف في الطب كتباً كثيرة بديعة منها كتابة الذي أسماه "الجامع" وكتابة "الطب الملكي" وكتابة في "الطب الروحاني" وغيرها وقد أحسن صناعة الكيمياء وقال أنها أقرب إلى الممكن منها إلى الممتنع وقال عنه "محمد بن إسحق النديم" في كتابه: إن أبا بكر المعروف بالرازي هو أوحد دهره وفريد عصره، فقد جمع المعرفة بعلوم القدماء لا سيما الطب، فقد كان هذا الرجل كريمًا بارًّا بالناس وخصوصًا الفقراء حتى كان يجزي عليهم الجرايات الواسعة ولقد خصصت جامعة برنستون في أمريكا أضخم

---

(1) الآراء هنا اختلفت حول مولد هذا الرجل، فالبعض يقول أنه ولد عام 240هـ وذلك متمثل عند عبد الحليم منتصر في كتابة "تاريخ العلم" وهناك رأي آخر وعلى رأسه، إبراهيم مدكور في كتابة "الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق" يذكر أنه ولد عام 250 هـ، ورأي ثالث لقدري طوفان في كتابة العلوم عند العرب، أنه ولد عام 254 هـ / أما رسالة فهرست الرازي والذي يقول فيها البيروني أنه ولد في غزة شعبان عام 251 هـ/ وهذا الرأي أقرب إلى الصواب لأن البيروني كان تلميذاً للرازي

ناحية من أبنيتها لمآثر وأعمال الرازي الخالدة فهو حجة الطب في أوربا حتى القرن السابع عشر للميلاد فهو طبيب المسلمين غير مدافع، وظهر هذا الرجل في منتصف القرن التاسع للميلاد، وأشتهر بالطب والكيمياء وجمع بينهما، وهو في نظر المؤرخقين من أعظم أطباء القرون الوسطى وأبو الطب العربي.

وقال عنه صاحب الفهرست[1] كان الرازي أوحد دهره وفريد عصره فقد جمع المعرفة بعلوم القدماء سيما الطب ....." وسماه أبن ابي أصيبعه" بجالينوس العرب[2] ولقد عرف الخليفة العباس عصر الدولة مقامة ورأي أن يستغل مواهبه ونبوغه، فاستشاره عند بناء البيمارستان العضدي في بغداد ، وفي الموضع الذي يجب أن يبني فيه، واتبع الرازي في تعيين المكان طريقة مبتكرة وجديد تحدث بها الأطباء، وكانت محل إعجابهم وتقديرهم، لذلك فقد وضع قطعًا من اللحم في أنحاء مختلفة من بغداد، ولاحظ سرعة درجة التعفن، وبذلك تحقق من المكان الصحي المناسب لبناء المستشفى، وأراد عضد الدولة أن يكون في هذا المستشفى جماعة من أفاضل الأطباء وأعوانهم، فأمر أن يحضروا له قائمة بأسماء الأطباء المشهورين، فكانوا يزيدون عن المائة، فإختار منهم خمسين بحسب ما وصل إلى علمه من مهاراتهم وبراعتهم في صناعة الطب، فكان الرازي منهم ثم بعد ذلك اقتصر على عشرة منهم، كان الرازي منهم ثم اختار ثلاثة من العشرة وكان الرازي أحدهم، وأخيرًا ميز بينهم فظهر له أن الرازي أفضلهم وأعظمهم لذلك جعله مدير للبيمارستان العضدي، لذلك اعترف به الغربيون وعلماء أمريكا وجامعاتها، وهذا يدل على تقديرهم للطب العربي ورجاله الذين أثروا في هذا المجال العلمي، وبفضل الرازي أنشئت له دار لتدريس العلوم العربية والبحث عن المخطوطات ونقلها للإنجليزية حي يتمكن العالم من الوقوف على آثار التراث الإسلامي في تقدم الطب وازدهار العمران.

---

(1) ابن النديم، الفهرست، القاهرة: المكتبة التجارية، بدون تاريخ ص 429 وما بعدها.

(2) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، 3 أجزاء، مطبعة مصر 1347 ص 308.

كان الرازي منتجًا إلى أبعد الحدود. فقد وضع من المؤلفات ما يزيد عن المائتين والعشرين ضاع معظمها أثناء الإنقلابات السياسية في الدول العربية ولم يبق منها إلا القليل في بعض مكتبات أوربا.

وألف الرازي كتبًا قيمة في الطب وأحدث ذلك أثرًا كبيرًا في تقدم وفي طرق المداواه وقد امتازت بما تجمعه من علوم اليونان والهنود إلى آرائه وبحوثه المبتكرة، وملاحظاته تدل على النضج والنبوغ كما تمتاز بالأمانة العلمية إذ نسب كل شيء نقله إلى قائلة وأرجعه إلى مصدره الأصلي، لقد سلك الرازي في تجاربه كما يتجلى من كتبه مسلكًا علميًا خالصًا، وهذا ما جعل لبحوثه في الكيمياء قيمة دفعت بعض الباحثين إلى القول: "أن الرازي مؤسس الكيمياء الحديثة في الشرق والغرب معًا" والرازي قد مجد العقل ومدحة، وقد أورد فصلاً خاصًا بذلك في كتابة الطب الروحاني (لخ)"الأشياء وأجداها وعرض طريق العقل أدركنا كل ما حولنا".

واستطاع الإنسان بالعقل أن يسخر الطبيعة لمصلحته ومنفعته، والعقل هو الذي ميز الإنسان عن الحيوان، وقد رفع الرازي شأن العقل وأدرك محله وخطره وجلاله وطالب "بأن لا يجعله وهو الحاكم محكوما عليه ولا وهو الزمام مزموماً، ولا وهو المتبوع تابعاً، بل يرجع في الأمور إليه وتعتبر هامة ونعتمد فيها عليه فنمضيها على إمضائه، ونوقفها على إيقافه ولا نسلط عليه الهوي الذي هو آفته ومكدره، والحائدية على سننه ومحجته وقصده واستقامته ... بل نروضه ونذلله ونحمله ونجبره على الوقوف عند أمره ونهيه".

كان الرازي لا يمل العمل في سبيل المعرفة حول أسرة المرضى وإجراء الأبحاث الكيمياوية، وهكذا أصبح هذا الشاب الذي كان يحاول الكسب عن طريق الصيرفة والموسيقى طبيباً مشهوراً، وكان موضع عطف الأمراء ومعبود الفقراء الذي كان يعالجهم بدون اجر ويشتري للكثير منهم الدواء بماله الخاص.

---

(1) الرازي: الطب الروحاني "تحقيق عبد اللطيف العبد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1978 ص 76

وكان الرازي مدركاً لرسالة الطبيب ومسئوليته فكان يعني بحالة المساكن الصحية وتنقية هوائها بالبخور والتهوية لطرد الروائح الكريهة، لأن نقاء الهواء في نظرة لا يقل أهمية عن العقاقير النباتية التي كان يفضلها عن سواها.

وكان ينصح بعدم استخدام العقاقير النباتية إذا كان من الممكن استخدام الأدوية البسيطة، وإن لم يستفد المعالج بتلك العقاقير استعاض الرازي عنها بالكيماويات.

لذلك يعتبر الرازي من أوائل الذين عالجوا بالكيمياء علاجًا علميًا، فهو أول من استغل الكيمياء في خدمة الطب وكان فيما تركة الرازي صندوق مزدحم بلفائف التعليقات، راجع ما فيه أطباء الري وتلاميذ الرازي وأخرجوا منه موسوعة طبية عرفت باسم، كتاب الحاوي(لخ) وهو موسوعة عالجت الموضوعات الطبية المختلفة، استشهد الرازي فيها بمختارات من المراجع اليونانية والفارسية والهندية و الرسيانية والعربية مع التزام الدقة في ذكر المراجع أثناء الحديث عن كل مرض عالجه، وكان الرازي في كل ذلك يذكر رأيه الخاص وتجاربه ونقل هذا الكتاب إلى اللاتينية "فراج بن سالم الإسرائيلي" واستفادت منه الجامعات الأوربية حتى القرن التاسع عشر.

وقد شغف الرازي بدراسة الكيمياء وكان له قريب صيدلاني أخذ عنه كثيراً من العقاقير والأدوية والتي استفاد منها بعد ذلك، لذلك يعتبر الرازي أول من ذكر حامض الكبريتيك وحضره وسماه الزاج الأخضر واستطاع استخراج الكحول بتقطير المواد التشويه والسكرية المتخمرة.

وزادت براعة الرازي عندما استدعى إلى بخاري لمعالجة الأمير منصور والذي كان يشكو من أمراض روماتيزمية، وكيف استثار الرازي غضب الأمير ساعده ذلك في العلاج، أنه استخدم نوعاً من العلاج النفسي فزاع صيته وشهرته لذلك يعتبر الرازي أول من استخدم الموسيقى لعلاج بعض الأمراض دون تدخل جراحي أو عقاقيري، وهو أيضاً أول من تنبه إلى أن الأمراض وراثية، وقام بعلاج الحمى مستخدما الماء البارد.

---

(1) الحاوي في الطب: دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن، 1955م عشرون جزءاً الطبعة الأولى، ص1.

وكان ينصح تلاميذه من الأطباء بضرورة مناقشة المريض عن أحواله، وتفاصيل مرضه حتى يصبح التشخيص على أسس علمية تعتمد على الدقة العلمية.

وللرازي أخبار كثيرة، وفوائد متفرقة فيما تفرد به من مداواة المرضى.

يقول القفطي: [لخ].

هو طبيب المسلمين غير مدافع واحد المشهورين في علم المنطق والهندسة.

ويقول عنه ابن النديم [بر] كان أو حد دهره، وفريد عصره، جمع المعرفة بعلوم القدماء ولاسيما الطب.

ويقول عنه "ابن أبي أصيبعة"[تر] كان الرازي ذكياً فطناً، رؤوفاً بالمرضى مجتهداً في علاجهم، وفي برئهم بكل وجه يقدر عليه مواظب النظر في غوامض صناعة الطب والكشف عن حقائقها وأسرارها.

ويقول "ابن خلكان"[4].

كان الرازي إمام وقته في علم الطب، وكان متقناً لهذه الصناعة حادقاً بها، عارفاً بأوضاعها وقوانينها، تشر إليه الرحال لاخذها عنه، وصنف فيها الكتب النافعة.

كما يقول "كامبل" في كتابه الطب العربي[سم]:

لقد أجمع المستشرقون والمشتغلون بتاريخ الطب على أن الرازي أعظم طبيب أنجبته النهضة الإسلامية بلا استثناء، ووضعه بعضهم على قدم المساواة مع أبقراط كما يقول "جوستاف جروينيها وم" في كتابة "حضارة الإسلام" لقد ظهر كبار الأطباء في القرن التاسع والعاشر وخاصة الرازي الذي كان لكتاباته تأثير جسيم في التفكير الطبي ببلاد العرب، دقة عظيمة في ملاحظة الأعراض ووصفها، ومن أقوال الطبيب الرازي

---

(1) القفطي: تاريخ الحكماء، طبعة ليزج مكتبة المثني، بغداد، بدون تاريخ ص 187.

(2) ابن النديم الفهرست، المكتبة التجارية، القاهرة 1348 هـ 429.

(3) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء مصدر سابق ص 314.

(4) ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق أحسان صابر، دار صادر بيروت 1971 ص 241.

(5) كامبل: الطب العربي، ج1ص 66.

obeikandi.com

ينبغي للطبيب أن يوهم المريض بالصحة ويرجيه بها، وإن كان غير واثق بذلك، فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس.

ويقول ينبغي للطبيب أن لا يدع مسألة المريض عن كل ما يمكن أن تتولد عنه علته من داخل ومن خارج، ثم يقضي بالأقوى ويقول:

ينبغي للمريض أن يقتصر على واحد من يوثق به من الأطباء فخطاة في جنب صوابه يسير حداً ويقول:

من تطيب عند كثيرين من الأطباء يوشك أن يقع في خطأ كل واحد منهم.

ويعتبر الرازي أول من استخدم خيوط معي القط، لخياطة الأنسجة تحت الجلد، وأول من استخدم الزئبق في المراهم وأول من استخدمه كملين.

وكان لمعرفة الرازي بالكيمياء أثره في طبه فكان ينسب الشفاء إلى التفاعلات الكيميائية التي تجري بالجسم.

يقول "الدوميلي" في كتابه "العلم عند العرب" يعتبر الرازي من أعظم أطباء الغرب ولم يكن الرازي طبيباً عظيماً فحسب، بل كان كذلك كيميائياً، ذا مقام عالٍ ورفيع وعالماً طبيعياً، وجماعاً للعلم موسوعياً، كما كان عليه علماء ذلك العصر.

ويقول "لوكلير" يعتبر "القانون" لابن سينا "والحاوي" للرازي والتصريف لمن عجز عن التأليف "للزهراوي" أعظم الموسوعات الطبية التي انتجتها العرب، ويقول الأستاذ: نجيب محفوظ عن هذه الكتب العظمية أنها كانت بمثابة المصابيح التي أضاءت منها أوربا قناديلها في القرون الوسطى.

ويقول "ديورانت" في كتابة "قصة الحضارة" كان الرازي "أشهر أطباء هذه الأسرة الرحيمة "يعني الأسرة الطبية" ويذكر عن كتابة الحاوي الذي يبحث في كل فرع من فروع الطب أنه ترجم إلى اللاتينية وظل عدة قرون أعظم الكتب الطبية وأهم مرجع لهذا العلم في بلاد الرجل الأبيض وما زالت الجامعات الأوربية حتى ذلك الوقت تدرس علوم الرازي وتستفيد منها وكان كتاب الحاوي من الكتب التسعة التي تتألف منها مكتبة الكلية في جامعة باريس 1392.

لذلك يعتبر الرازي بإجماع الآراء أعظم الأطباء المسلمين، وأعظم أطباء الطب الأكلينيكي في العصور الوسطى وقد علقت في جامعة باريس صورتان ملونتان لطبيبين مسلمين هما الرازي وابن سينا فالرازي عند الكثيرين يرجح على ابن سينا في الطب كما أن ابن سينا يرجح على الرازي في الفلسفة فابن سينا طبيب وفيلسوف والرازي طبيب كيميائي أو طبيب عالم.

ويذكر أبن أبي أصيبعة "عن الرازي قوله":

العمر يقصر عن الوقوف على فعل كل نبات في الأرض، فعليك بالاشهر مما أجمع عليه، ودع الشاذ واقتصر على ما جربت.

وقوله أيضاً الناقهون من المرض إذا اشتهوا من الطعام ما يضرهم، فيجب على الطبيب أن يحتال في تدبير ذلك الطعام وصرفه إلى كيفية موافقة ولا يمنعهم ما يشتهون البته.

ويقول إن استطاع الحكيم أن يعالج بالأغذية دون الادوية فقد وافق السعادة وعلى المريض أن يقتصر على واحد ممن يوثق به من الأطباء فخطأة في جنب صوابه يسير جداً ومن تطيب عند كثير من الأطباء يوشك أن يقع في خطأ كل واحد منهم.

ويذكر "ابن النديم" أن الرازي تتلمذ في الفلسفة على يد رجل يلقب "بالبلخي" وكان البلخي هذا من أهل بلخ يطوف البلاد ويجول الأرض، حسن المعرفة بالفلسفة والعلوم القديمة(لخ).

وكان الرازي في الطب أبو قراطي المذهب، جالونيسية ولم يمنعه ذلك من فقد صاحبيه عندما رأي موضعًا للنقد وألف كتاباً أسماه "الشكوك على جالينوس" كما ذكرت من قبل وهو عداً هذا يقع منه موضع التلميذ من أستاذه ثم هو يعود فيقول، ولكن الفلسفة تأبى التسليم للأستاذ، فإن ذلك فيه وقوف بالعلم وذكر أن جالينوس نفسه لام من يطلب من الأساتذة والرؤساء التسليم من تلامذتهم والمريدين بغير حجة تقنع أو برهان يدفع.

---

(1) ابن النديم، الفهرسيت مصدر سابق ص 357.

ولقب بالرازي نسبة إلى مسقط رأسه الذي ولد فيها فقد ولد في مدينة الري[لخ] جنوبي طهران وقضي حياته في بغداد وكان موسوعة في العلوم كما قال عنه مترجميه.

ويقول عنه "خير الدين الزركلي" في موسوعته "الإعلام أبو بكر الرازي فيلسوف، من الأئمة في صناعة الطب من أهل الري ولد وتعلم بها".

أما "جمال الدين القفطي" يقول في كتابه "تاريخ الحكماء" أبو بكر الرازي طبيب المسلمين غير مدافع واحد المشهورين في علم المنطق والهندسة وغيرها من علوم الفلسفة وكان في ابتداء أمره يضرب بالعود ثم ترك ذلك وأقبل على تعلم الفلسفة.

ويقول عنه "ديفيديوجين سمث" في كتابة "تاريخ الرياضيات المجلد الأول، إن أبا بكر محدم بن زكريا المعروف بالرازي نال شهرة مرموقة في الطب، ولكنه قدم لذلك إنتاجاً يستحق التقدير في علمي الهندسة والفلك والرازي عرف عند مؤرخي العلوم انه من كبار علماء الإسلام ليس فقط في الطب والكيمياء ولكن في الصيدلة والفلسفة والرياضيات فالرازي لم يترك علماً من العلوم إلا وتكلم فيه وكانت له أراؤه الخاصة وتجاربه تجاهه، وكان علم الصيدلة في عصر الرازي جزءاً لا يتجزأ من علم الطب وكان يهتم بالصيدلة لعلمه الوفير بالكيمياء والطب لذلك لا يجب أن نتجاهل الرازي عند حديثنا عن رواد علم الصيدلة لأن الرازي له باع طويل في كل من علمي الطب والكيمياء لذلك يعتبر الرازي من قادة الفكر في علم الصيدلة والأعشاب الطبية.

ويقول عنه ابن جلجل في كتابه طبقات الأطباء والحكماء الرازي مسلم النحلة، أديب طبيب مارستاني[بر].

وصدق سامي خلق حمارنه "عندما قال في كتابة" "تاريخ الصيدلة والطب العربي منذ نشأته حتى العصور الحديثة" وفي مطلع القرن العاشر كان يشرق ويلمع في سماء

---

(1) مدينة صغيرة تقع على بعد خمسة أميال جنوب شرق طهران، فتحها العرب، في عهد الخليفة، عمر بن الخطاب، ولد فيها هارون الرشيدي والمهدي بن المنصور

(2) بيمارستان" كلمة فارسية مركبة من كلمتين "بيماء" ويقصد بها مريض "استان" وتعني مكان أي مكان المرضى

عالم الطب والكيمياء نجم لامع بإنتاجه في علم الطب السريري والكيمياء الطبية وعلم النفس والمداواة النفسية والفلسفة الاجتماعية هو أبو بكر الرازي "الذي فاقت شهرته العنان فقد كان الرازي معتدلاً واقعياً يكره النفاق والرياء، حارب الجهل والتدجيل بين متعاطي المهن الصحية ورفع مستواها إلى أعلى وأسمى الدرجات.

وأضاف أج براون في كتابة الطب العربي قائلا إن أبا بكر الرازي يعتبر بحق أعظم علماء المسلمين في الطب من ناحية الأصالة في البحث والخصوبة في التأليف وفي كتاب وفيات الأعيان وأبناء الزمان عن العباس بن خلكان نقلاً عن ابن جلجل "أنه كان في شبابه يضرب بالعود ويغني فلما التحى وجهه قال: كل غناء يخرج من بين شارب ولحية لا يطرب، فنزع عن ذلك وأقبل على دراسة كتب الطب والفلسفة وبلغ غايته فيها واعتقد الصحيح منها وعلل السقيم ويقول أحمد شوكت الشطي في كتابة تاريخ الطب وآدابه وأعلامه" كان الطب متفرقاً فجمعه الرازي، لذلك يجب على الطبيب أن يطمع في شفاء مريضة أكثر من رغبته في نيل أجوره لأنه كان يعتبر دراسة مهنة الطب مهنة مقدسة.

ويعتبر الرازي من أكبر مفكري الإسلام وأحد المهتمين بالمعرفة، فهو طبيب وفيلسوف وكيميائي وعالم طبيعي، والحق الذي لا جدال فيه أن الرازي كان حريصًا على أن يلقب بالفيلسوف وبين ذلك في رسالته "السيرة الفلسفية" مميزات الفيلسوف العلمية والعملية وطبق ذلك على نفسه، لذلك كانت فلسفته فيها جرأة وغرابة تدفع أي باحث إلى دراستها وتفهمها، أما الشهرزوري[لخ] يقول أن الرازي قد بلغ في الطب وتكلم في الجنائت فيما عدا ذلك فهو شيخ مسكين متحير في مذاهب الجاهلية، ورغم ذلك نجد هناك إناساً يحاولون أن يحطوا من شأن هذا الرجل ويطلق عليه الجاهل المتكلف في شروحة وتفسيراته للفلسفة، ولكن البعض الآخر من الناس يذكرون أنه هو الفيلسوف الوحيد الذي استطاع أن يضع الفلسفة فوق مستوى الدين، وذعم أخرون أنه

(1) الشهرزوري: روضة الأفراج مخطوطه بدار الكتب المصرية، القاهرة تحت رقم 26369 ص 215

لم يستطع أن يقدم سوى مجرد أفكار وآراء سلبية بينما وصفه آخرون أنه مجدد له أراؤه الخاصة به إزاء تجاربه وله أراؤه المستقلة وهذا ما جعله يتفوق على كل من كان في عصره وقت ذلك.

وقال عنه "ابن سينا" انه مجرد فضولي جاهل، وكان لهذا الاهتمام مغزى؛ لانه من المحتمل أن يكون تفوق وبروز الرازي في الطب هو الذي جعل ابن سينا يهاجمه مثلما ما فعله بعض الإسماعيلية من نقد شديد للرازي "تخرج من شجرة ملؤها الحق والغيرة والبغضاء والتنافس الشخص[لخ] لذلك نجد الرازي يعتبر بحق مؤسس النزعة العقلية في الفكر الإسلامي وأن فلسفته هي الأساس الذي صدرت عنه شتى نواحي المعرفة العلمية، ولكن البعض ذكر أن فلسفته هي التي صدر عنها النزاعات الإلحادية، ولكن أعلن البعض أنه لم يكن سوى مفكرٍ إسلاميٍّ عظيم الشأن؛ لذلك فهو أعظم طبيب عربي أثر على مجرى التاريخ والتفكير الطبي في الغرب حتى القرن السابع عشر بينما ذكر البعض أن اكتشافاته الطبية ومحاولاته العلمية قد تمت بالمصادفة وأن طبه لم يكن أكثر من مجرد أباطيل وخرافات سرعان ما أطاح بها تقدم الفكر العلمي في القرن العشرين، ولكن من وجه نظري أن كل هذه الانتقادات لم تؤثر على منزلة الرازي العلمية سواء كانت في المعرفة أو الطب والكيمياء، لأنها إتهامات تقليدية وباطلة أتهم بها كل من عمل بالفلسفة واستغل بها، والدليل على ذلك أن جامعات أوربا مازالت تدرس ما تركة لنا الرازي من مختلف العلوم واستفادت منه استفادة عظمى في مجال الطب والكيمياء.

فلقد اتهم "سقراط" وأعدم، واتهم "أبو حامد الغزالي" وأحرقت كتبة، وأيضاً اتهم الرازي بأنه ملحد وبعيد عن السنة والشريعة وشغل الناس بالفلسفة وجعلها تعلو فوق الدين.

---

(1) كوريان: تاريخ الفلسفة الإسلامية، ترجمة مطير مروة بيروت 1966 ص 216 كذلك عبداللطيف العبد: أصول الفكر الفلسفي عند الرازي مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، 1977 ص 16.

وابن تيمية حين يقول أن شيخنا أبا حامد الغزالي: دخل إلى بطون الفلاسفة وأراد أن يخرج منها فما قدر(لخ).

والحق أن الرازي استطاع أن يقدم نسقاً عقلياً هائلاً استوعب في إطاره من فنون المعرفة ما لم يسبق لأي مفكر أخر استيعابه، لذلك استطاع الرازي أن يستوعب شتى مجالات المعرفة البشرية والذي يجب أن تذكره هنا اننا نهرف بطبه وكيميائه منا بفلسفته والسبب هو اهتمام الباحثين بالرازي الطبيب الكيميائي أكثر من اهتمامهم بالرازي الفيلسوف ونحن لا ننكر أن جانبه العلمي أقوي من جانبه الفلسفي وما لدينا من مؤلفاته الطبية والكيميائية يفوق على مؤلفاته الفلسفية.

ولقد تأثر الرازي بأفلاطون في كتاباته الفلسفية وسيظهر ذلك حين ينسب إليه بعض أرائه في العلم الإلهي: كالقول يقدم الهيولي والمطلق والمكان المطلق والزمان المطلق.

ونرى أن الرازي قد خالف أرسطو بقوله : أن الهيولي توجد بالفعل لا بالقوة، ويرفض تعريف أرسطو للمكان بأنه ذلك السطح الحاوي للجسم ويخالفه أيضاً في القول بأن الزمان لا يتوقف على النفس بل هو جوهر لذاته وهو لا يقاس بحركة الأفلاك، كم يقول أرسطو لذلك نجد أن أراء الرازي وتجاربه العلمية التي تتميز بالنزاهة والدقة جعلته يفوق علماء عصره.

وبعد هذا الجهد العلمي العظيم في مجال الطب والكيمياء وغيرها من مختلف العلوم كف بصره في أواخر حياته المضيئة بعد أن فتح عيوناً ونحن على العلم والمعرفة، فقد ضعفت عيناه بسبب الأبخرة والمواد الكيميائية المتصاعدة خلال تحضيرة للعقاقير الكيميائية والتي كان يستعملها في العلاج، وكان من نتيجة ضعق بصره وعماه انوار القناديل فكان يكتب أبحاثه عليها حتى أنه في سنة واحدة كتب أكثر من عشرين ألف ورقة.

---

(1) ابن تيمية: بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول، القاهرة، 1903، جـ 1 ص2.

وقد ذكر قائلاً حتى ضعف بصري، وحدث على نسخ في عضل يدي يمنعانني عن القراءة والكتابة وأنا على حالي، لا أدعها بمقدار جهدي، واستعين دائماً بمن يقرأ ويكتب لي[1].

وعندما جاءت الكحال ليقدح عينية حتى يستطيع أن يبصر فسألة الرازي عن العين ومما تتكون؟ فرد عليه الكحال لا أعلم عنها شيء فقال له الرازي لا يقدح عيني من لا يعلم شيء عنها، فإنني قد أبصرت من الدنيا حتى مللت ولم يسمح بقدح عينية.

ولكن هنا رواية أخرى تقول أنه ألف كتاباً في الكيمياء لمنصور الساحاني وأثبت فيه تحويل المعادن الرخيصة والخسيسة إلى ذهب أو فضة وعندما أراد منصور أن يخرج هذا الكتاب إلى الفعل قال له الرازي أن ذلك يحتاج إلى آلات وعقاقير صحيحة وإحكام صنعة وذلك يتكلف كثيراً، فقال المنصور كل ما تحتاج إليه سوف أحضره لك حتى يخرج ما يحويه هذا الكتاب إلى العمل فرفض الرازي ذلك وظن المنصور أنه خدعة وقال لا اعتقد أن حكيماً يرضي بتخليد الكذب في الكتب وينسبها إلى الحكمة ويشغل بها الناس ولا يعود عليهم بمنفعة لذلك لابد من معاقبتك على تخليد هذا الكذب وأمر بضرب الرازي على رأسه بهذا الكتاب حتى يتمزق فكان ذلك الضرب ربما يكون سبب من الأسباب التي أدت إلى نزول الماء في عينه[2].

وأياً كان السبب في فقد بصره فقد فتح أبصارنا على نور العلم والحقيقة حتى كان يوم الخامس من شعبان سنة 313 هـ/ 925م/ هو يوم وفاته حتى أسلم الروح ودفن في الري مسقط رأسه تاركاً وراءه حياة مليئة بالعلم والمعرفة والأحداث المضطربة التي عاشها بين طلب العلم والمعرفة وتأليف الكتب وتحضير التجارب الكيميائية حتى يتوصل إلى العقاقير التي تساعد على مداواة المرضى وشفائهم، وهكذا ظهرت روح الاستقلال والدقة العلمية في فكر أبي بكر الرازي في أغلب أبحاثه العلمية والفلسفية.

---

(1) الرازي: السيرة الفلسفية: ضمن رسائلة الفلسفية: "تحقيق كراوس، مطبعة مصر القاهرة، 1939، ص104

(2) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مصدر سابق جـ 4 ص 246.

أعمال الرازي ومؤلفاته:

مما لا شك فيه أن مؤلفات الرازي وأعماله هي معاناة لضرب من العذاب العقلي، وعلى الرغم من ذلك فإن مؤلفاته حافلة بالوضوح والإشراق، على الرغم من كل ما علق بها من تعقيد وأبهام كل ذلك جعل في فكر الرازي غرابة وتساؤلات عديدة تدفع أي باحث إلى معرفتها ودراستها حتى يستطيع فهمها وتعقلها.

فالإنسان يقف أمام الرازي ويندهش بالثروة الضخمة التي تركها لنا من المؤلفات والتصانيف، فحياته كلها كانت عبارة عن تأليف وترجمات حتى أن كتبه وصلت إلى أكثر من مائتي مؤلف في الطب والفلسفة والرياضيات والكيمياء وفي الفلك واطبيعة وغيرها لذلك نجد الرازي كان محباً للعلم وحريصاً عليه مجتهداً فيه وكان ذلك واضحاً عند كل من صاحبوه وكانوا أصدقاء له.

وعلى الرغم من أن كتب ومؤلفات الرازي تعتبر من التراث الذي لا يمكن أن يتكرر ثاينة لما بذلك من جهدعلمي فذ طوال حياته التي عاشها تحت انوار القناديل، إلا أن هناك بعض الأشخاص الحاقدين على علمه وقال بأن مؤلفاته ما هي إلا تمجيع لأقاويل الناس وانه لم يضف شيئاً إلى العلم والمعرفة، وانه أخذ مكانه عليمة مرموقة في علوم كان جاهلاً فيها ولا يعرف شيئاً عنها سوى بالمصادفة فقط ويذكر آخرون انه أتى في هذه العلوم بما لم يسبق إليه[لخ].

وأفاض البعض الآخر من الناس بالأمانة العلمية والدقة في مؤلفاته[بر] فهو كان يكتب شيء شاهده بالفعل أثناء تجاربه العلمية وكان يكتب إسم كل مرجع إطلع عليه وهذا يدل على الأمانة العلمية في الملاحظة والتجريب.

أما ابن النديم[تر] يذكر أن ابا بكر الرازي إنتحل كتب رجل يسمى البلخي، وهذا الرجل من أهل بلخ ولذلك سمى بهذا الإسم نسبة إلى أهله وكان البلخي دائم الترحال

---

(1) قدري حافظ طوقان: العلوم عند العرب، سلسلة الآلف كتاب، القاهرة 1956 ص 126.

(2) جيوم: تراث الإسلام ترجمة د، توفيق الطويل، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، 1936 ط1 ص301.

(3) ابن النديم: الفهرست مصدر سابق ص340.

والطواف بالبلاد، حسن المعرفة بالفلسفة والعلوم القديمة، وأن أبا بكر الرازي أخذ كتب الفلسفة عنه: وعلى العموم فنحن متفقون على مؤلفاته الطبية التي انتشرت في البلاد وسعد بها سعادة كبيرة، ولكن نجد الفلسفة كان لها النصيب الأصغر وذلك لعدم نشر مؤلفاته فيها.

ولابد وأن نتطرق في مؤلفاته عن طريقته في الكتابة والتي صار عليها في مؤلفاته العلمية، فنجدها كتبت بأسلوب سهل حتى يستطيع كل شخص من المجتمع الذي عاش فيه أن يستفيد منه، فهو لا يلجأ إلى التعقيد ولا الإبهام في كتاباته ولكنه كان يحب البساطة والإيجاز في الأسلوب، ولكن هذا المذهب لا يخلوا من عيب الأطناب الشديد والفوضى والتفكك(لخ)..

ولكن على الرفم من أن حياة الرازي كانت غير مستقرة لانه كان دائم الترحال بين البلاد إلا أنه كان منتجاً ومبدعاً إلى أبعد الحدود وهذا يظهر واضحاً في مؤلفاته فقد ترك لنا ثروة علمية هائلة كما ذكرت تفوق المائتي مؤلف معظمها في صناعة الطب والمعارف الفلسفية والكيميائية وغيرها من شتى العلوم والآن لابد من أن تذكر مصنفات ومؤلفات أبي بكر الرازي وخاصة كتبه الفلسفية والطبية والكيميائية.

ولذلك نجد أن أبا الريحان البيروني قد أهتم بحصر إنتاج العلامة أبي بكر الرازي ونجده ألف كتاباً سماه "رسالة للبيروني في فهرست كتب أبي بكر الرازي" إهم بنشرها وتصحيحها كراوس 1936.

أولاً: كتبه في الطب:

1. 1 -كتاب الجامع الكبير وقد عرف "بالحاوي الكبير" عشرون جزءاً.
2. كتاب إثبات الطب.
3. كتاب المدخل إلى الطب.

---

(1) أوليري" الفكر العربي ومكانته في التاريخ، ترجمة تمام حسان، القاهرة، بدون تاريخ ص 126.

4. كتاب الرد على الجاحظ في نقضة الطب.
5. كتاب في محنة الطب وكيف ينبغي أن يكون.
6. كتاب المرشد.
7. كتاب الطب الملوكي.
8. كتاب من لا يحضره الطبيب.
9. كتاب الفاخر.
10. كتاب القراباذين الكبير.
11. كتاب القراباذين الصغير.
12. كتاب منافع الأغذية ودفع مضارها.
13. كتاب الجدري والحصبة.
14. كتاب في النقرس وأوجاع المفاصل.
15. كتاب في هيئة القلب.
16. كتاب في العلة التي يزعم جهال الأطباء أن الثلج يعطش.
17. كتاب في علة الموت من السموم.
18. كتاب فيما جرى بينه وبين جرير الطبيب في الترث عقيب البطيح.
19. كتاب الأبدال.
20. كتاب الكبير في العطر والأنجات والأدهان.

ثانياً: كتبة في الفلسفة:

1 - كتاب العلم الإلهي الصغير على رأي سقراط.
2 - كتاب على الأشفاق على المتكلمين.
3 - كتاب نقض كتاب التدبير.
4 - كتاب الأراء الطبيعية[لخ].

(1) ابن النديم، ص 431، القفطي، ص 376، ابن أبي أصيبعة، ص 320.

obeikandl.com

5 - كتاب في خواص الأشياء(لخ).

6 - كتاب سر الأسرار في الحكمة(بر).

7 - كتاب في كواكب السبعة في الحكمة(تر).

8 - كتاب ميزان العقل(ير).

9 - كتاب في السيرة الفاضلة(سم).

10 - كتاب في الثبوت في الحكمة(شم).

11 - كتاب في الفلسفة القديمة(لم).

12 - كتاب في الشكوك على بدقلس(□).

13 - كتاب في الأوهام والحركات والعشق(□).

14 - كتاب في سبب خلق السباع والهوام(لح لخ).

15 - كتاب فيما أغلفته الفلاسفة(لخ لخ).

16 - كتاب في البحث عما قبل في كتاب الاسطقسات في طبيعة الإنسان(برلخ).

17 - كتاب ما قالت القدماء في المبادء والكيفيات(ترلخ).

---

(1) ابن النديم، ص 430، ابن أبي أصيبعة ط 316.

(2) ابن النديم، "السير الفلسفية" كراوس رسائل فلسفية 431.

(3) ابن النديم، والبيروني، السيرة الفلسفية، ص 219.

(4) ابن النديم، 431، القفطي، 375.

(5) ابن النديم 431، البيروتي 190 السيرة الفلسفية.

(6) ابن النديم، البيروني ص 317.

(7) البيروني: رسالة في فهرست كتب الرازي.

(8) ابن النديم 432 القفطي، 375 وأبي أثيبعة 319، البيروتي 126

(9) ابن النديم 431، القفطي، 376، ابن ابي اصيبعة 320.

(10) ابن النديم 431، البيروتي، القفطي 375.

(11) ابن النديم، البيروني، ابن أبي اصيبعة، مصدر سابق، نفس الصفحة.

(12) ابن النديم، 431، القفطي، ابن أبي أصيبعة 320.

(13) البيروني، أبن أبي أصيبعة 321.

obeikandl.com

18 - كتاب في تفسير كتاب فلوطرخس في تفسير كتاب طيماوس[لخ].

19 - كتاب إلى أبن أبي الساج في الحكمة[بر].

20 - كتاب رسالته في التركيب[تر].

ثالثاً: كتبه في النفس:

1 - كتاب الطب الروحاني[بر]:

ويعرف بطب النفوس، وكان هدفه من هذا الكتاب إصلاح أخلاق واحوال النفس، وهذا الكتاب شبيه بكتاب الطب الجسدي.

وألف الرازي هذا الكاتب للأمير منصور ابن إسحق حاكم الري ويقع هذا الكتاب في عشرين فصلاً منها على سبيل الإيضاح:

الفصل الأول: في فضل العقل ومدحه.

الفصل الثاني: في روح الهوى وقمعه، وجملة من رأي أفلاطون الحكيم.

الفصل الثالث: في ذكر أعراض النفس الرديئة على إنفرادها.

الفصل الرابع: في تعريف الرجل عيوب نفسه.

الفصل الخامس: في دفع العشق والألف، وجملة من الكلام في اللذة.

الفصل السادس: في دفع الحجب.

وقد قام بتحقيق هذا الكتاب "بول كراوس" ونشره في رسائل فلسفية لأبي بكر الرازي 1939.

2 - كتاب النفس كبير[سم]:

---

(1) ابن النديم، ص 437، القفطي، 751 البيروني، ابن ابي أصيبعة، 319.

(2) ابن النديم، البيروني، بول كراوس مصدر سابق ص 320.

(3) ابن النديم، ابن أبي أصيبعة، 320، 431.

(4) البيروني: رسالة فهرس كتب الرازي، تاريخ الحكماء القفطي، ص 273، أبن أثيبعة، ص 315.

(5) النفس الكبير "ابن النديم"، 431، البيروني، 131، أبن ابي اصيبعة، كتاب كبير في النفس 320. 320.

obeikandi.com

نجد كتاب رسائل فلسفية لأراء الرازي والذي نشره كراوس يوجد به أراء في النفوس بعنوان "القول في النفس والعالم"[لخ].

3 - كتاب في النفس صغير[بر].

4 - كتاب في أن النفس ليست بجسم[تر].

رابعاً: كتبه في الهيولي:

1 - كتاب في إتمام ما نقص به القائلين بالهيولي[ير].

2 - كتاب الهيولي الكبيرة[سم].

3 - كتاب في الرد على المسمعي المتكلم في رده على أصحاب الهيولي[شم].

4 - كتاب في الهيولي المطلقة والجزئية[لم].

خامساً: كتبه في النبوة والأديان:

1 - كتاب في النبوات ويدعي نقص الأديان[□].

2 - كتاب فيما يرد به إظهار ما يدعي من عيوب الأنبياء[□].

سادساً: كتبه في العالم:

1 - حديث دار بينه وبين المسعودي في حدوث العالم[لخ].

---

(1) راجع بول كراوس في رسائل فلسفية" ص 282 وما بعدها.

(2) ابن النديم 431، النفس الصغير، البيروني 132، القفطي النفس 375، صغير في النفس أصيبغة 320.

(3) ابن النديم، القفطي، ابن أبي أصيبعة، ص 431، ص375، ص 319

(4) ابن أبي أصيبعة، مرجع سابق ص 317

(5) ابن النديم، 430، البيروني، كتاب رقم 60.

(6) ابن النديم، 430، القفطي، 374 ابن أبي اصيبعة في الرد على القائلين يقدم الهيولي ص 317. 317.

(7) ابن النديم، 430، القفطي، 374 ابن أبي أصيبعة 317

(8) البيروني: رسالة في فهرست كتب الرازي.

(9) ابن النديم: كتاب ما يدعي من عيوب الأنبياء القفطي، ص 176، 41، كتاب مخاريق الأنبياي، ابن أبي أصيبعة ص 320.

obeikandl.com

2 - كتاب في حدوث الأجسام على القائلين بقدمها(بر).

3 - كتاب لا يمكن أن يكون العالم لم يزل على مثال ما نشاهده(تر).

سابعاً: كتبه في الإلهيات:

1 - كتاب العلم الإلهي على رأي سقراط(يز).

2 - كتاب العلم الإلهي الكبير(سم).

3 - كتاب الحاصل في العلم الإلهي(شم).

4 - كتاب الصغير في العلم الإلهي(لم).

5 - أشعاره في العلم الإلهي(□).

6 - كتاب الرد على أبي القاسم البلخي في نقضه المقالة الثانية في العلم الإلهي(□).

7 - كتاب رسالة في العلم الإلهي لطيفة(لح لخ).

8 - قصيدية الإلهية(لخ لخ).

9 - كتاب في أن للإنسان خالقاً حكيماً(لخ).

---

(1) ابن أبي أصيبعة، مصدر سابق ص 321.

(2) ابن النديم، ص 432 القائلين بحدوث الأجسام من الفضل على القائلين يقدمها البيروني ص 141.

(3) ابن النديم، ص 430، البيروني 142.

(4) البيروني ص 114 العلم الإلهي على رأي أفلاطون ابن اصيبعة 317.

(5) البيروني: 116 العلم الإلهي ابن أبي اصيبعة "317".

(6) ابن النديم، 431، القفطي، 375، البيروني الحاصل في العلم الإلهي عن طريق الأخذ بالحرص والبرهان "122"

(7) ابن النديم،ص 430، القفطي ، ص374.

(8) ابن النديم، ص 431، ابن ابي أصيبعة، ص 320

(9) ابن النديم 430، القفطي، ص 374

(10) ابن النديم، ص 431، القفطي، ص 375، ابن أبي اصيبعة ص 320.

(11) البيروني: قصيدته في العلم الإلهي، ابن ابي اصيبعة ، ص 317

obeikandl.com

10 - كتاب في أن للعالم خالقاً حكيماً[بز].

11 - كتاب في الإشقاق على أهل التحصيل من المتكلمين والمتفلسفين[تز].

ثامناً: كتبه في الزمان والمكان والحركة:

1 - كتاب في الخلاء والملاء ويعني الزمان والمكان[يز].

2 - ما جري بينه وبين أبي القسم الكعبي في الزمان[سم].

3 - كتاب في أن الجسم يتحرك من ذاته وأن الحركة مبدأ طبيعته[شم].

4 - كتاب في الحركة وأنها ليست مرئية بل معلومة[لم].

5 - كتاب الفرق بين ابتداء المدة وبين ابتداء الحركات[□].

6 - كتاب في علة جذب حجر المغناطيس[□].

تاسعاً: كتبه في المنطق:

1 - كتاب البرهان[لخ لخ].

2 - المدخل إلى المنطق "ايساغوص"[لخ لخ].

---

(1) ابن النديم: وتوجد دلائل على قدرة الخالق من التشريح وفوائد الأعضاء تدل على أن خلق الإنسان لا يمكن يكون بالاتفاق ابن اصيبعة 315.

(2) ابن أبي اصيبعة ص 317.

(3) ابن النديم: الإشفاق على المتكلمين ص 431 البيروني: الإشفاق على أهل التحصيل من المتكلمين والمنطقيين.

القفطي: الاشفاق على أهل التحصيل من المتكلمين بالفلسفة "العلم الإلهي" 376.

(4) ابن النديم 430، الزمان والمكان، البيروني، رقم 61 الخلاء والملاء، القفطي، الزمان والمكان 374.

(5) البيروني: كتاب رقم 60 مرجع سابق.

(6) ابن النديم: ص 431، الجسم محرك من ذاته والحركمة مبدأ طبيعته ص 375.

(7) ابن النديم، 431، ابن ابي أصيبعة، 315، القفطي، 375.

(8) البيروني: رسائل في فهرست كتب الرازي مرجع سابق.

(9) ابن النديم: 301 والقفطي، جذب حجر المغناطيس للحديد وفيه حديث كبير عن الخلاء 319.

(10) ابن النديم، ص 430، القفطي ص 372، ابن ابي اصيبعة ض 315.

(11) القفطي، 373، ابن ابي اصيبعة، 315، ابن النديم، 430.

obeikandl.com

3 - كتاب معاني باريمنياس[لخ].

4 - كتاب قصيدة في المنطقيات[بر].

5 - كيفية الاستدلال[تر].

ب - اسهامات الرازي في مجال الطب:

1 - نشأة علم الطب.

2 - مآثر الطب عند العرب.

3 - الرازي والطب.

4 - مكانة الرازي الطبية وتشمل:

أ -طرق الفحص.

ب - طرق العلاج.

الراي ومؤلفاته في مجال الطب.

نشأة علم الطب:

الطب هو أشرف العلوم العمرانية والإنسانية بإعتباره العلم النافع الباحث عن صحة الأبدان وسلامتها، وطرائق علاجها من العاهات والأمراض، فهو بالإجماع أولى العلوم بتوجيه الهمم والمجهودات لتوسيع نطاقة العلمي والعملي.

وإهتدى الإنسان إلى ألوان من التطبيب، تتفق مع مستواه العقلي وتطوره الإنساني لذلك كان لابد من وجود هذا العلم حتى يفيد الإنسان سواء من الناحية العلاجية أو الوقائية ومازال هذا العلم القديم يتطور حتى وصل إلى ما هو عليه في عصرنا الحالي.

وكان لعلم الطب الفضل في ظهور علم الكيمياء والحيوان والنباتات فعن طريق التجارب الطبية اكتشف الأطباء الأدوية من الأعشاب والمعادن لعلاج الإنسان من الأمراض التي تصيبه.

---

(1) ابن النديم، 349، ابن ابي اصيبعة 316.

(2) ابن النديم، 431، ابن ابي أصيبعة 317، البيروني.

(3) البيروني: رسالة في فهرست كتب الرازي.

obeikandl.com

وكان علم الطب قديماً له صلة وثيقة بالطقوس الدينية والعبادرات والسحر، وكان رجال الدين والكهنة في الأديرة يمارسون مهنة الطب، ويتحكمون في نفوس وأجسام الناس بحجة معرفتهم بمهنة الطب.

ومن أقدم الشعوب التي مارست مهنة الطب، ووصلت فيه إلى مستوى رفيع، قدماء المصريين، واهتموا بهذه المهنة اهتمامًا كبيرًا، والدليل على ذلك التشخيص وحصر الأمراض والتحنيط والتشريح الذي تركوه لنا، وأيضاً البرديات التي عثر عليها مثل بردية كاهون، برلين، لندن(لخ).

ونرى أن مصر قد نشأت فيها أقدم مدارس للطب في العالم كله ومن هذه المدارس على سبيل المثال "المدرسة الطبية" الموجودة في عين شمس ومدرسة أمحوتب في منف وقد أطلق على هذه المدارس بيوت الحياة بسبب ما يتعلمه الطالب فيها من أساليب إطالة حياة البشر عن طريق شفاتهم من بعض الأمراض(بر).

واختاروا لهذه المدارس أشخاصًا من الموثوق بذمتهم وعفافهم ذوي الحنان والرأفة بالضعفاء، وعلى طالب العلم أن يجتاز الإمتحان الذي يعقد له في الخلاق والصدق حتى يتحقق الكهنة من آمانة الطالب في ممارسة مهنة الطب، وجعلوا شعارهم في زي الخلقة حلق رؤوسهم ولبس جلود الفهد على ظهورهم واتخاذهم الثياب المنسوجة من الكتان الغليظ كشعار يعرفون به أينما وجدوا.

وهناك حقيقة لابد وأن نسلم بها وهي أن قدماء المصريين هم أول من توصل إلى استخدام خيوط الكتان والمشارط والآلات والإبر في الجراحة، وأيضًا لهم السبق في تحنيط الجثث لا تتعفن وتظل باقية عبر الزمان؛ ليشهد العالم كله على أن القدماء المصريين هم أول من خاضوا تجربة إجراء العمليات الجراحية، والتخدير حتى لا يتألم المريض أثناء القيام بالعملية، وأيضاً لهم الفضل في معرفة تشريح جسم الإنسان ومعرغة

---

(1) د/ عبد الحليم منتصر: تاريخ العلم، دور العرب في تقدمه الطبعة السادسة، دار المعارف القاهرة، 1975، ص 111.

(2) مختار رسمي ناشد، فضل الحضارة المصرية على العلوم، الهيئة المصرية، القاهرة 19973 ص 105.

آلامه والتاريخ يشهد حتى الآن على أن أقدم طبيب في التاريخ هو الملك "دجر" حفيد الملك نارمر وأنه كان ذا باع طويل في مجال الطب وإجراء التجارب والفحوص[لخ] وتشخيص المرض ودفعه إلى هذا إصابة والده بجروح عديدة في جسده أودت بحياته.

لذلك تعتبر أول روشته طبية كتبت في تاريخ الطب كانت في مصر[بر].

ومع تقديس المصريين للإلهة التي كانوا يعبدونها، فكانوا يعتقدون أن أزيس أومحوتب وسخت هم ألهة الطب وفنونه وأن أزيس هي إله الطب الحقيقية، وكانت سخت تدعي إلهة الجراحة والإلهة أمحوتب إله الخلق والذي شيدوا بإسمه مستشفى في معبد منفيس يقصده المرضى من الجهات النائية لينالوا الشفاء.

وعن طريق ذلك اكتسب الرومات واليونان العلوم الطبية وبرعوا فيها ومن أشهر أطباء اليونان أبقراط وجالينوس وما يؤكد أيضاً على براعة قدماء المصريين وجود اوراق بردية خاصة بمهنة الطب، وكانت تمتاز بالدقة والإبداع في النقوش واهم ورقتين برديتين طبيبتين ظهرنا في ذلك الوقت إحداهما ورقة أبرس والثانية ورقة "برلين" فالأولى اكتشفت في مدينة طيبه عام 1873 وكانت في ملف طوله واحد وعشرون متراً وعرضه 80 سنتي متراً وكانت فيها عدة ضوابط علمية لأنواع من الأمراض مثل أمراض العيون وأمراض النساء وأيضاً خواص العقاقير والنباتات.

والورقة الثانية ورقة برلين الطبية مكتشفة بمدينة منفيس بالقرب من سقارة وكانت في حرز من الطين وهي ذات أجزاء ثلاثة يرجع تاريخها إلى عام 1275 ق.م، ووجدت في هذه الورقة صور تذاكر طبية وجزء منها أيضاً للأوعية الشريانية ودورة الدم وقد اكتشفت عدة أوراق بردية طبية أخرى مثل التي اكتشفت في مديرية الفيوم وكان موضوعها الاول الطب البيطري والثاني الأمراض التناسلية ولكنها لا تضاهي هاتين الورقتين في الشهره والقيمة التاريخية والمنزلة العلمية فالمقابر والمعابد وأوراق

---

(1) المرجع السابق، ص 97 وما بعدها.

(2) د/ نجيب رياض: الطب المصري القديم، القاهرة، 1959 ، ص 5 وما بعدها.

البردي وفن التحنيط كلها أعمال ناطقة بفضلهم في الطب والتشريح والجراحة وخصائص النبات لذلك ما ما تدعيه الحضارة المدنية أمام هذه الحقائق العظيمة لا يعد إلا التقاطاً من فتات موائدهم وأكتحالاً بثرى أقدامهم.

مآثر الطب عند العرب:

يقول بعض الكاتب أن العرب لم يكونوا غير نقلة ماهرين ولم يعرفوا من العلوم إلا جانبها النظري.

وفي هذا خطأ وتحامل، فلقد تبين لدى الباحثين من علماءالغرب ان العرب كانوا مبدعين مخترغين أكثر منهم نقله في كثير من العلوم.

وذكر "لمستون" ان لم يكن للعرب من فضل غير إنقاذ الطبك والعلوم القديمة من الضياع لكفاهم فخراً...."

والحقيقة أنهم لم يقفوا عند الإنقاذ وحفظ العلوم القديمة من الضياع، بل تفحصوها، ونقحوها وأضافوا إليها إضافات هامة وقدموها إلى أوربا واضحة ومنظمة.

واعترف "دي فو" بان الميراث الذي تركه اليونان في الطب وغيره قد استفاد منه العرب واتقنوه وعملو على تحسينه ويقول "السيروويليم أوسلر"[1] أن العرب أشعلو سراجهم من القناديل اليوانية، وبلغت مهنة الطب عندهم أثناء القرن الثامن إلى الحادي عشر للميلاد من الأهمية والعلوم لأنكاد نجد له مثيلاً في التاريخ.

ونجد في ذلك ما راوه "عبد اللطيف البغدادي المتوفي سنة 1230 م من أنه رأي أثناء مروره بمصر مكانه كثير من الإشلاء والجثث قال، فلم نضيع فرضة الدراسة، وشاهدنا شكل العظام ومفاصلها، وكيفية إتصالها، وتناسبلها ما أفادنا علماً لا تستفيده من الكتب.

فالطب اليوناني والطب العربي يمثلان عصراً واحدا من التفكير الطبي، هو عصر الخبرة المنظمة عقلياً، وهو عصر دام عشرين قرناً وضع أبقراط كلياته منهجة ثم

(1) السير وليم أوسلر: تطور الطب ص 63.

فصله وفرع عليه جاليس، وممارسة طبيباً "الرازي" وسنقه وأوضحه "ابن سينا" إيضاحاً جاليس بعده مزيد إلى أن عرف البشر العلم التجريبي وعلم الكيمياء.

فالعرب هم أول من نبغوا في مجال العلوم الطبية، وما تركوه من مؤلفات مثل كتاب القانون لابن سينا، وكتاب الحاوي للرازي وكتاب "التصرف لمن عجز عن التأليف" لأبي القاسم الزهراوي يدل على تقدير الغربيين لهم حيث أنهم خصصوا للطب العربي ورجاله أضخم الأبنية في جامعة يرنستون الأمريكية، وكان من أجمل هذه الأبنية، مأثر علم من أعلام الحضارة الخالدين الرازي "وقامت أيضاً بتدريس مآثر علم من أعلام الحضارة الخالدة "للرازي" وقامت أيضاً بتدريس العلوم العربية والبحث عن المخطوطات ونقلها الأنلكيزيه حتى يستطيع العالم الوقوف على أثر العرب في تقدم الطب وإزدهار العمران.

فالعرب هم أول من عرفو الفحص الطبي "فكانوا يفحصون البول ويجسون النبض، وكان لهم بعد نظر في التشخيص والعلاج فكانوا يفحصون العليل بكل عناية ودقة مما يشكو منه وطريقة معيشته وعاداته وعن الأمراض التي أصيب بها من قبل وعن حالة عائلته الصحية ومناخ بلاده كل ذلك كان يجعل التشخيص فيه دقة وثبات ويقول الدكتور أمين خير الله في كتابة القيم، العربي[1] ولا يسعنا إلا أن نعجب من النتائج الصائبة ومن المعلومات التي كانوا يستخرجونها من فحص النبص والبول ....".

وقد بين ابن ابي اصيبعة في كتابه "عيون الأنباء في طبقات الأطباء"[2] كيف كان الطلبة يرافقون استاذهم ويدرسون عملياً مختلف الحالات أثناء فحص الأستاذ المرضى، وتشخيصه لأمراضهم، ووصفة العلاج لهم، وهذا ما جعلهم يتقنون حالات الفحص والتشخيص والعرب لم يكونوا مهرة في التشخيص فحسب بل اتقنوا فن التفرقة بين الأمراض وساهموا في تقدم الطب الداخلي حيثما وضعوا لأول مرة وصفاً دقيقاً لبعض الأمراض المعدية.

---

(1) د/ أمين خير الله: كتاب القيم، الطب العربي، مطبعة الجامعة الأمريكية، بيروت، 1946 ص 68.

(2) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء مرجع سابق ص 316.

فابن سينا "كان يفرق بين الإلتهاب الرئوي والبلوراوي وبين التهاب السحايا لاحاد والثانو وبين المغص المعوي والمغص الكلوي.

والرازي يعتبر هو أول من وصف بدقة مرض الجدري والحصبة "ابن زهر" أول من وصف خراج الحيزوم والتهاب التامور الناشف والإنسكابي.

فالعرب هم أول من استخدموا المرقد "المخدر" في الطب والعمليات الجراحية والكاويات في الجراحة، واستعملوا الأفيون بمقادير كبيرة لمعالجة مرض الجنون، ووصفوا الماء البارد لمعالجة النزيف، وعالجوا خلع الكتف بالطريقة المعروفة في الجراحة برد المقاومة الفجائي ونسبوا أيضاً البواسير إلى قبض المعدة وأشاروا بالمأكولات النباتية علاجاً لها.

ونجد في ذلك أيضاً "لسان الدين الخطيب" الذي أثبت أن مرض الطاعون ينتشر بواسطة العدوى في عصر لم تكن فيه العدوى ولا الجراثيم معروفة لدى أحد.

وفوق ذلك كله فالعرب هو أول من كشف مرضى "الانكلستوما" وأن ابن سينا هو أول من كشف الستار عن الطفلية الموجودة في الإنسان والمسامه بالأنكلستوما وكان هذا الاكتشاف في كتابة القانون "في الطب" في الفصل الخاص بالديدان المعوية[1] وقد سمى ابن سينا هذه الطفيلة "بالدودة المستديرة".

وقد تحدث ابن سينا على الشلل النصفي وفرق بين شلل الوجه الناتج عن سبب مركزي في الدماغ والناتج عن سبب محلي.

وكذلك قال "الرازي" بالعدوى الوراثية وكان الطبري أول من كشف الحشرة التي تسبب داء الجرب ووصفها في كتابة المعالجة الأبقراطية.

وتحدث الأطباء العرب عن "الوهم" والأحداث النفسية من العلل التي تؤثر في البدن ويجب على الطبيب أن يحسب حسابها، لذلك لابد من رفع الوهم عن المرضى وتصغير شأن المرض.

---

(1) ابن سينا: القانون في الطب: 3 ج، دار صادر، بيروت طبعة جديدة 1037/428 (د.ت) الفصل الخاص بالديدان المعوية ومكتبة المثني ببغداد، طبع في روما 1593.

ولم يهمل العرب أيضاً "طب العيون" نظراً لانتشار أمراض العيون في البلاد الحارة كمصر، سوريا، العراق، وظلت تعاليمهم سائدة حتى القرن السابع عشر للميلاد.

ومن الأطباء العرب الذين اهتم بالعين ووصفها ابن الهيثم وبحث في قضايا البصريات وفي طبيعة النظر وذكر أن النور يدخل العين ولا يخرج منها وأن الشبكية هي مركز المرئيات وأن هذه المرئيات تنتقل إلى الدماغ بواسطة عصب البصر.

ووضع أيضاً حنين بن اسحق كتاباً سماه "العشر مقالات في العين" وكذلك "علي بن عيسى" وضع رسالة في تشريح العين وأمراضها الظاهرة والباطنه، وكان لهذا الكتاب أثره البالغ على أوربا أثناء القرون الوسطى.

ولعل كتاب "صلاح بن يوسف الكحال" في العين هو أكبر مرجع جامع في أمراض العين ووصف البصر، وأمراض العين وأسبابها وأمراض الجفون، وأمراض القرنية وأدوية العيون.

ونجد أن العرب قد برعوا في الجراحة وأخذوها عن اليونان وبلغوا فيها شأناً عظيماً.

وأول من اهتم بها طبيبنا الرازي وجمع بين الطب والجراحة وبقول الدكتور سامي حداد في محاضراته عن مآثر العرب في الطب[1] أما كتاب الجراحة للزهراوي فهو أطيب ما انتجه العرب العمليات الجراحية وفي علاج كسر العظام وخلعها وفيه ما يزيد عن مائتي شكل للآلات الجراحية التي كان يستعملها ..." والجراحة دفعت العرب إلى استخدام المخدرات فيها كالحشيش، والأفيون، والزوان، وست الحسن "هيوسيامين" وقد أخذوا خيطان الجروح من أمعاء القطط والحيوانات الأخرى ونجد أن العرب أيضاً هم أول من توصل إلى كيفية معالجة المياه البيضاء الموجودة في العين عن طريق الجراحة وتحريك العدسة من مكانها الأصلي.

فالتخدير فن عرفة الأطباء العرب، وكانوا يستعملونه قبل إجراء العمليات الجراحية حتى لا يتألم المريض أثناء إجراء العملية حتى أصبح هذا العلم علماً حديثاً له

(1) سامي حداد، مآثر العرب في الطب، مطبعة الريحاني، بيروت. 1936 ص 37.

تقنياته وأساليبه العلمية الحديثة ولا ننسى أيضاً "أبا القاسم خليفة بن عباس" أبا الجراحين المسلمين والذي ظلت مؤلفاته مرجعاً لكل الجراحين الغربيين حتى القرن الخامس عشر كما نجد أن الأندلس قد أفرزت لنا عددا من الأطباء لا بأس به فمن الأطباء الذين زاع صيتهم في أوربا ابن رشد شارح أرسطو وكتابات جالينوس والقانون لابن سينا كان له باع طويلاً في المؤلفات الطبية، وأهمها مؤلفة الطبي "الكليات" وأيضاً كتابه عن الحميات والسموم.

ولا ننسى أيضاً ابن النفيس الإمام الأول لها في الطب البريطاني والذي كان له أراؤه ونظرياته في ميدانه الطب ووظائف الأعضاء فهو أول من اكتشف الدورة الدموية وأن الدم ينقي في الرئتين وأهم مؤلفاته "الموجز" وأكد فيه على التشريح.

وتقدم العرب في مجال العلوم الطبية كان راجعاً إلى حفظ الصحة لذلك وجب عليهم انشاء المستشفيات أو كما يطلقون عليها البيمارستانات واهتموا بها، وهي نوعان:

"نوعاً متنقلاً وهو قديماً كان الطبيب ينتقل من مكان لآخر لعلاج المرضى ومعه جميع أدواته".

ونوعاً آخر وهو المستشفيات الثانية وكانت موجودة بعواصم المدن العربية وفي كل مستشفى قاعة للمحاضرات يتعلم فيها الطلبة منه الأطباء ومكتبة بها جميع كتب الطب وما يحتاجه الأطباء وتلاميذهم فكل مستشفى كانت مجهزة بجميع ما يلزم المرضى ومداواتهم من أدوات وأدوية وأطعمة وأشربه وملابس وأطباء، وصيادلة، وكل ما يعين على ترفيه الحال على المريض.

كان هذا هو النظام السائد في جميع المستشفيات التي كانت موجود في العالم الإسلامي سواء في المغرب أو المشرق ونخص منهم بالذكر أهم أربعة مستشفيات في مدن الإسلام.

1 - المستشفى العضدي ببغداد: بناه عضد الدولة عام 371 هـ بعد أن اختار الطبيب المشهور الرازي مكانها.

2 - المستشفى النوري الكبير بدمشق: وقد قام بإنشائها السلطان نور الدين الشهيد 459هـ - 1154م.

3 - المستشفى المنصوري الكبير: وكانت داراً لبعض الأمراء وحولها الملك المنصور سيف الدين قلاوون إلى مستشفى عام 683 هـ - 1284م.

4 - مستشفى مراكش: أنشأها أمير المؤمنين "المنصور أبو يوسف" ووفر فيها جيمع سبل الراحة للمرض.

فهذه نماذج من مئات المستشفيات التي كانت موجودة في العالم الإسلامي يوم كانت أوربا تتخبط في ظلام الجهل ولا تعرف شيئاً عن هذه المستشفيات ودقتها، وسمو العاطفة الإنسانية فيها.

وهناك مقولة ذكرها المستشرق الألماني "ماكس مايرهوف" عن حالة المستشفيات في أوربا في العصر التي كانت فيه مستشفيات حضارتنا على أعلى مستوى من المستشفيات العربية ونظم الصحة فيها لتلقي علينا الآن درساً قاسياً مراً لا نقدره حق قدره إلا بعد القيام بمقارنة بسيطة مع مستشفيات أوربا في ذلك الزمن نفسه.

ولا نبالغ إذا قلنا بأنه حتى القرن الثامن عشر والمرضى يعالجون في بيوتهم، كانت المستشفيات الأوربية عبارة عن دور إحسان ومأوى.

وعلى هذا فنحن أسبق من الغربيين في تنظيم المستشفيات وفي الوصول إلى كل ما هو جديد في مجال العلوم الطبية من جراحة وتخدير وتشريح وتحنيط وكنا أسبق الأمم في معرفتنا للموسيقى والأدب المضحك والإيحاء الذاتي من أثر بالغ في شفاء المرضى، وحققنا التكافل الاجتماعي في جعل العلاج والطب والغذاء للمرضى بالمجان.

وهذا الحد لم تستطيع الحضارة الغربية تحقيقه حتى اليوم لذلك كان الغربيون شديدي الإعجاب بكل ما يسمعونه عن العرب وأبحاثهم وتقدمهم في هذه العلوم في جو من الحرية لا يعرفون له مثيلاً في بلادهم.

لذلك بدء العرب في حركات الترجمة من العربية إلى اللاتينية.

فقد ترجم كتاب "القانون في الطب" لابن سينا، كما ترجم كتاب الحاوي للرازي ويقع في إثنى عشر جزءاً.

وظل هذان الكتابات دعامة أساسية لتدريس العلوم الطبية في الجامعات الأوربية حتى القرن السادس عشر.

فهذه نزعة إنسانية بلغنا فيها الذروة يوم كنا نحمل لواء الحضارة فأين نحن منها اليوم، وأين منها هؤلاء الغربيون ...؟

الرازي والطب:

بدأ الرزاي مع الطب وهو يقرب من الثلاثين من عمره تقريباً ثم مارسه بعد سنوات عديدة من الدراسة أي وهو في الأربعين من عمره، وكان له باعاً طويلاً في التجارب الطبية والفحوص والتشخيص حتى ذاع صيته، وأصبح مديراً للبيمارستان العضدي ثم بيمارستان بغداد، وأصبحت المستشفيات هي بيته الحقيقي لتطبيق معلوماته النظرية إلى عملية وجعلها تحت الإختبارات؛ حتى يتأكد من صحتها، ومدى ملائمتها لظروف الحالة المرضية التي أمامه.

ويقول الرازي أن الأطباء الجهلة والمقلدين والأحداث أي الجدد في مجال مهنة الطب، الذين لا تجربه لهم في مجال الطب ومن قلت عنايته وكثرة شهواته قتالون[لخ].

والذي أدى إلى براعة الرازي في مجال الطب أنه كان يهتم بالمريض منذ ظهور المرض عليه، ويلاحظه بكل دقة وأمانة متناهية، ونتيجة العلاج على المريض، هل هو يتقدم أم يتقاعش ويسجل كل ذلك في تقارير موجودة لديه.

وكان الرازي يعالج المرض باستخدام الموسيقى حيث كان يحبها في صغره، وعرف أنها تعتبر لوناً من ألوان العلاج، ولكن الموسيقى لا تعالج كل الحالات بل بعضها وفيم يتطلب ذلك.

---

(1) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء مصدر سابق، ص 314.

obeikandl.com

لان هناك حالات أخرى تحتاج إلى الفحص ثم التشخيص وإعطاء الأدوية، وقد تتطلب الحالة أحياناً التشريح.

فالرازي لم يترك كتاباً في الطب للأطباء والحكماء إلا وقرأه واستفاد منه في حياته الطبية، وحلل كل شيء في هذه الكتب بأمانة وصدق.

وأرجع كل شيء إلى صاحبه. لذلك نجده يقول:

الاستكثار من قراءة كتب الحكماء والإشراف على أسرارهم نافع لكل حكيم عظيم الخطر(لخ).

وتتلمذ الرازي على يد "الطبري" حتى برع في مجال الطب، وصار فيه إمام وقته، وأعظم أطباء الطب السريري "الإكلينيكي" ولقبه معاصروه بطبيب المسلمين، وظل حجة الطب في أوربا حتى القرن الحادي عشر الهجري، والسابع عشر الميلادي.

لذلك قال عنه الغربيون "كان الطب ميتاً فأحياه جالينوس وكان متفرقاً فجمعه الرازي".

فقد جمع الرازي بين الخبره وسعة الإطلاع من خلال مشاهداته والتعليق عليها وتدوينها، ومن أبرز صفاته كطبيب معالج هو استقصاؤه أعراض المرض ... لذلك يعتبر الرازي نبراساً نادراً في مجال الطب لما كان يدونه من حالات نادرة في العلوم الطبية ظلت عوناً لدارسي الطب حتى وقتنا الحاضر.

لذلك يقول الرازي ينبغي للطبيب أن لا يدع مساءلة المريض عن كل ما يمكن أن تتولد عنه علته من داخل ومن خارج، ثم يقضي بالأقوى.

فالحكيم إذا استطاع أن يعالج بالأغذية دون الأدوية فقد وافق السعادة.

وعلى الطبيب أن يوهم مريضه الصحة والعافية ويرجيه بها ويقوي حيوته وحالته العقلية لأنك إذا فعلت ذلك سهل عليك الباقي، فالحقيقة في الطب لا تدرك والعلاج بما تنصه الكتب دون إعمال الماهر الحكيم برأيه خطر.

---

(1) ابن أبي أصيبعة: طبقات الأطباء، مصدر سابق، ص 314 وما بعدها.

obeikandl.com

لذلك إذا كان الطبيب عالماً والمريض مطيعاً فما أقل لبث العلة ويذكر الرازي على المريض أن يقتصر على واحد ممن يوثق به من الأطباء فخطؤه في جنب صوابه يسير جداً.

فمن تطيب عند كثير من الأطباء يوشك أن يقع في خطأ واحد منهم.

فالطب هو أشرف الصنائع كلها، لذلك يجب على المشتغل بالطب أن يكون تام الخلق، صحيح الأعضاء، حسن الذكاء والفطنه جيد الرؤية، وأن يكون كتوماً لأسرار المرضى، وأن يكون سليم القلب، عفيف النظر وتكون رغبته في إبراء المرضى أكثر من رغبته فيما يلتمسه من الأجرة.

فالرازي هو أول من لمس أثر النواحي النفسية في العلاج والتطبيب فهو يرى أن "مزاج الجسم تابع لأخلاف النفس" لأن للنفس الشأن الأول فيما بينها وبين البدن من صلة، لذلك أوجب على طبيب الجسم أن يكون طبيباً للروح.

ويقول كامبل[لخ] في كتابه "الطب العربي" لقد أجمع المستشرقون والمشتغلون بتاريخ الطب أن الرازي أعظم طبيب أنجبته النهضة الإسلامية بلا استثناء ووضعه البعض على قدم المساواة مع أبقراط.

ونجد الدوميلي "يذكر في كتاب[بر] العلم عند العرب يعتبر الرازي أعظم أطباء العرب فهو لم يكن طبيباً عظيماً فحسب بل كان كيميائياً ذا مقام رفيع، وعالماً طبيعياً، وجماعاً للعلم موسوعياً، كما كان من عليّه علماء ذلك الزمان فما يستطاع أن يعالج بالغذاء لا يعالج بالدواء وما يمكن علاجه بالدواء لا يعالج بالجراحة[تر]".

لذلك أجمع كثير من العلماء على أن الرازي طبيب العرب الأول ولقبوه بأبي الطب العربي، وجالينوس الطب العربي[بر].

---

(1) كامبل: الطب العربي، مرجع سابق ص 65 وما بعدها.

(2) الدوميلي: العلم عند العرب، مرجع سابق ص 1167.

(3) غوستاف لوبون: حضارة العرب ترجمة عادل زعيتر مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1964، ص25.

(4) ابن أبي أصيبعة: طبقات الأطباء مصدر سابق ص 415.

مكانة الرازي الطبية:

يعد الرازي من اكبر مفكري أطباء الإسلام في مجال العلوم الطبية، لأنه لم يكتفي بجمع المعلومات الطبية فقط، بل أضاف إضافات جديدة في غاية الأهمية والتطور تؤكد على سعة تفكيره وخبرته العلمية، فقد بحث في جميع المؤلفات والمراجع الطبية وعلق عليها بأسلوب رفيع يسهل على كل فرد قراءاتها ومعرفتها وأرجع كل شيء كتبه إلى مصدره الأصلي، كذلك تميزت أبحاثه العلمية بالأصالة والدقة.

فقد اجمع معظم العلماء على أن الرازي أعظم أطباء عصره وأنه وصل بالطب إلى قمة التطور ومازالت نظرياته في مجال الطب تدرس في الجامعات الأوربية حتى وقتنا هذا وما زالت صورته موجودة في جامعة باريس تكريماً وتخليداً لهذا الطبيب البارع.

فالرازي يعتبر أوحد دهره وفريد عصره[لخ] كما ذكرنا سالفاً لأن الطب كان متفرقاً في ذلك الوقت وقام الرازي بجمعه وكتابته حتى يظل باقي على مر العصور.

ونجد الرازي في كتابة "منافع الأغذية ودفع مضارها قد ذكر أنه هناك بعض الحالات المرضية تتطلب العلاج بالأغذية دون الأدوية".

ويعتبر الرازي هو أول من عني بالتشريع ويسجل له التاريخ أنه أول من ميز العصب الحنجري من الأصل المضاعف في الجهة اليمنى من الرقبة.

ونجد الرازي هو أول من قال "بالوراثة" وما لها من آثار مرضية على أفراد الأسرة وعلى هذا يقول الرازي:

"ينبغي على الطبيب أن لا يدع مسألة المريض عن كل ما يمكن أن يتولد عنه علته من داخل ومن خارج ثم يقضي بالأقوى"[بر].

وهناك حقيقة أخرى يجب أن تذكرها وهي أن الرازي يعتبر أو من قام بعلاج الحمى مستخدماً في ذلك الماء البارد لتلطيف الجسم من شدة الحرارة.

---

(1) ابن أبي أصيبعة: كتابة عيون الأنباء مصدر سابق، ص 309.

(2) الرازي: كتابة الحاوي في الطب، دائرة المعارف العثمانية سنة 1995، ص 189.

ويعد أيضاً أو من استخدم خيوط الكتان والحيوان مثل أمعاء القطط في عملياته الجراحية في تخييط الأنسجة.

ويعتبر الرازي أول من توصل إلى معرفة الحساسية أو "الأليرجيه" على جسم الإنسان، وإن كان لم يذكر كلمة حساسية بصراحة[لخ].

والرازي من مهاراته الطبية لم يترك العين إلا وتكلم عنها وأثر تعرض العينة للضوء وانكماشها وعددها، وما يصيب العين من أمراض والعمليات الجراحية الخاصة بها فلكل عملية جراحية أدويتها وألاتها الجراحية اللازمة لذلك فالرازي يعد من أمهر الأطباء العرب والسبب راجع إلى تتبع الحالة المرضية من بدايتها وتحديد نوع الإصابة وتشخيص العلاج لها.

ومن أبرز صفات الرازي كطبيب معالج أنه كان ذا أخلاق رفيعة رؤوف بالمرضى، يعطي المحتاجين ويعالجهم بلا مقابل، ومن صفاته أيضاً استقصاؤه أعرض المرض ومهاراته كانت تظهر في تحليله لأعراض المرض وأسلوبه في العلاج جعل الأطباء يهتمون به من بعده في هذا المجال واقتفاء أثره.

والذي يميز الرازي عن أطباء عصره أنه أول من لمس أثر النواحي النفسية على المريض، ومدى تأثيرها عليه وأن راحة الجسد تابعة لأخلاق النفس.

وقد أدرك أيضاً الرازي للموسيقى من أثر جيد على نفوس المرض، وكيف يمكن أن تكون الموسيقى لوناً من ألوان العلاج ويذكر الرازي أيضاً الناقهون من المرض إذا اشتهوا من الطعام ما يضرهم، فيجب على الطبيب أن يحتال في تدبير ذلك الطعام وصرفه إلى كيفية موافقة ولا يمنعهم ما يشتهون البته.

ولا يسعني في ذلك إلا أن أقول أن الرازي يعتبر من أعظم الأطباء،و هو طبيب العرب الأول بلا منازع، وجالينوس الطب العربي.

ويقول أيضاً الدكتور "لوكلير" المؤرخ الفرنسي "إذا كان الكندي هو أشهر فيلسوف ظهر عند العرب فإن الرازي يعد أول وأعظم طبيب عندهم".

---

(1) عبد الحليم منتصر: كتابة "تاريخ العلم" مرجع سابق ص 169

obeikandi.com

طرق الفحص:

لقد اتبع أبو بكر الرازي نمطاً حديثاً في طريقة المعالجة والفحص في كثير من الحالات المرضية التي كانت تعرض عليه ...

وهناك حقيقة هامة وهي يجب على الطبيب أن يوهم مريضة بالصحة والعافية دائماً، وأن يجعل المريض يثق فيه كل الثقة ويحكي له بارتياح عن كل أوجاعه، وأيضاً لابد من مناقشة المريض عن أحواله وعن سبب مرضه حتى يتبين للطبيب المرض وكيفية علاجه.

لذلك يشترط على الطبيب أن يكون حالته معتدلة سوية لا مقبل على الدنيل ولا معرض عنها فيكون بين الرغبة والرهبه[لخ].

ويذكر الرازي أنه يجب على المريض أن يكون مطيعاً لأوامر طبيبة، وعليه أن ينفذها بكل دقة حتى تتم مراحل العلاج بنجاح.

وطريقة الفحص عند الرازي كانت تعتمد في المقام الأول على فحص المريض أولاً ثم فحص بول المريض وتشخيص حالته المرضية.

والفحص عند الرازي يعتمد على شقين:

1 - فحص المريض

2 - فحص المواد المرضية

أولاً: فحص المريض:

كان الرازي يعتمد في فحصه للمريض على الملاحظة وتتبع المريض منذ بداية المرض عليه، ومتابعة جميع تحركات جسده، وخاصة عمليه التنفس وهذه العملية تكون متفقة لجس عملية النبض[بن] من حيث الانتظام والبطئ والسرعة فقوام النبض دليل قاطع على قوام حالة القلب، حتى يشفي المريض من علته.

---

(1) الرازي: الحاوي في الطب: مصدر سابق ص203

(2) المصدر السابق ج3 ص 29.

obeikandl.com

ثانياً: فحص المواد المرضية:

فحص الرازي للبول كان يعتمد على النظر إلى رائحته وعلى درجة رسوبة وإلى لونه، فإذا كان لون البول قاتم دل ذلك على فساد البول، وأيضاً إذا تبين رائحة كريهة فيه دل ذلك على الإصابة بالمرض أما اللون الطبيعي للبول يكون أقرب إلى درجة الإصفرار ومعتدل، وغير ذلك يعتبر غير طبيعي(لخ).

وبعد فحص الرازي للبول ينتقل إلى فحص براز المريض، وهذا يدل على حالة المعدة والأمعاء(بر) وقام الرازي أيضاً بفحص القئ الذي ينزل من المريض ومعرفة لونه ورائحته حتى يتعرف على المرض، لذلك جمع الرازي بين فحص المريض والمواد المرضية حتى يكون التشخيص ناجح.

طرق العلاج:

انقسمت طرق العلاج عند الرازي إلى ثلاثة أنواع هي:

أ - العلاج بالأغذية.

ب - العلاج بالأدوية.

ج - العلاج النفسي.

أولاً: العلاج بالأغذية:

مما لا شك فيه أن الرازي فضَّل العلاج بالغذاء دون الدواء وكما ذكرنا سالفاً أن الحكيم إذا استطاع أن يعالج بالأغذية دون الأدوية فقد وافق السعادة(تر) لذلك يجب على الطبيب أن يعالج مرضاه بالأغذية النافعة دون الأدوية، لان ذلك يكون متوافقاً مع طبيعة الكائن الحي والبشرية ويحقق السعادة للمريض، وعلى الطبيب أن يلبي رغبات المريض من الطعام وعلى ذلك يقول الرازي إن الحمية المفرطة والمبادرة إلى الأدوية والتقليل من الأغذية لا يحفظ الصحة بل يجلب الأمراض(بر).

---

(1) المصدر السابق جـ 19 ص 156.

(2) المصدر السابق جـ 16 ص 260

(3) أبن ابي أصيبعة: عيون الأنباء، مصدر سابق جـ 1 ص 319.

(4) الرازي: الحاوي في الطب، مصدر سابق جـ 15 ص77 وما بعدها.

obeikandl.com

وقد ألف الرازي في ذلك كتاباً هاماً سماه منافع الأغذية ودفع مضارها[1] وسبب ذلك هو دفع مضار الأغذية فأما ما ستقصي أبلغ وأشرح مما عمله الفاضل جالينوس فإنه سها وغلط في كثير من كتابة في هذا المعنى ولم يستقص في كثير منه ولا سيما يحيى بن ماسو "فإنه ضر بكتابة الذي عمله أكثر مما نفع، وأن أميل عن ذكر العلل والأسباب التي خص الفلاسفة الطبيعيين إلى ذكر المعاني والنكت الجزيئية التي يعم نفعها جميع الناظرين لما قدرت في ذلك من عظيم النفع، وينبغي أن أذكر الأمور الجزئية التي تخص عدداً في نفع مضارة وذكر قوانينة، وأمور كلية في تدبير المطعم والمشرب جملة وينبغي أن أجعله مقالتين":

الأولى: الأمور الخاصة الجزئية.

الثانية: القوانين العامة الكلية.

فالعلم عند الرازي "قوامه إطرادات في الحدوث تصاغ في قوانين عامة يستعان بها على التنبؤ إذا تكررت الظروف[2].

والرازي يبين منافع الأغذية ومضارها مثل منافع الماء المشروب ومضاره ومنافع الشراب المسكر واللحوم والسمك وألوان الطبيخ ومضارها ومنافع البقول والتوابل والفاكهة والحلوى ومضارها.

و إهتمام الرازي بهذا الكاتب راجع إلى حرص الأطباء العرب الدقة والملاحظة في وصف العلاج عن طريق الأطعمة النافعة.

ونجد من الأطباء من كان يعتمد على قيمة الغذاء في وصف العلاج بدلاً من الاعتماد على الأدوية[3].

---

(1) الرازي: كتاب منافع الأغذية ودفع مضارها، تحقيق على الخربوتي – المطبعة الخيرية مصر، 1877م. 1305 هـ وبقع هذا الكتاب في 67 صفحة.

(2) عبد اللطيف العبد: أصول الفكر الفلسفي عند الرازي: مرجع سابق ص 201.

(3) عبد الحليم منتصر: تاريخ العلم ودور العرب في تقدمه مرجع سابق ص 1168

obeikandl.com

ثانياً: العلاج بالأدوية

يعد الرازي من اوائل الرواد المبتكرين في طرق العلاج بالأدوية وهو يعد من المؤسسين لعلم الصيدلة والعقاقير الحديثة، فهو أول من استخدم المواد الكيماوية في علاجه الطبي، لذلك فالعلاقة وطيدة بين علم الكيمياء وعلم الطب وكلاهما استفادة من الآخر.

والرازي من الأطباء الذين يفضلون العلاج المفرد على العلاج المركب ومهما قدر لك أن تعالج بدواء مفرد فلا تعالج بدواء مركب(لخ).

وهناك حقيقة هامة لا يمكن إغفالها في مجال العلاج بالأدوية وهي أن الرازي يعد أول من استخدم التغليف في الدواء حيث أنه غلف الدواء المر بغلاف من السكر(بر) حتى لا يجذع المريض من الدواء وينفره من أول وهله، ونذكر أيضاً أن الرازي أول من صنع الملينات والمراهم واستخدامها في عمليات الإمساك لدى المرضى(تر).

واستخدم أيضاً الأفيون كعلاج للحالات الجراحية حيث استخدمه كمخدر حتى لا يشعر المريض بالألم أثناء الجراحة، وأول من اكتشف الكحول وقام بتقطيره إلى مواد نشويه أو سكريه، واستفاد الصيادلة منه بعد ذلك فالعلاج لابد منه قبل حصول العلة، والدواء وحده لا يكفي بل يجب على المريض أن يكون مطيعاً لأوامر طبيبه وأن يثق فيه حتى يشفى.

ثالثاً: العلاج النفسي:

يعتبر الرازي من أكبر الأطباء النفسيين أيضاً فلقد أدرك هذا الطبيب العظيم من أول وهله ما للحالة النفسية وإضطرابها من تأثير على المرضى، فمزاج الجسم تابع لمزاج أخلاق النفس(ير).

---

(1) الرازي "الحاوي" في الطب: مصدر سابق ص 255

(2) هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة كمال دسوقي وآخرون دار الآفاق الجديدة، بيروت 1964 ص 328.

(3) عبد الحليم منتصر: تاريخ العلم ودور العرب في تقدمه، مرجع سابق ص 119

(4) أبن أبي صيبعة: عيون الأنباء، مصدر سابق جـ 1 ص 314.

وقد لاحظ الرازي أن المرضى الذين يستمعون إلى الموسيقى يتقدمون بسرعة إلى الشفاء، وأن الموسيقى تعتبر لوناً من ألوان العلاج النفسي ولم يؤمن الأطباء بذلك إلا في القرن العشرين تقريباً.

وأهم الأمراض النفسية التي عالجها "الرازي" هو مرض الفصام Schizophrenia وكان يعني بهذا المرض أنه إنفصام في شخصية المريض وبعده عن الواقع الذي يعيش فيه.

وقد عالج الرازي هذا المرض عن طريق الأغذية الجيدة المخلطة ولعب الشطرنج لتحريك قواه العقلية، وأيضاً عن طريق الغناء والاستحمام.

ويقول الرازي ينبغي ألا تشعر المريض بمعرفة مرضه الحقيقي "فصام" ولكن يجب أن تذكره بأنه يعالج من مرض بسيط مثل عصر الهضم في المعدة والأمعاء فقط حتى لا يتوهم المريض ويتخيل أشياء غير موجودة في عالمه الذي يعيش فيه ويصبح شفاؤه مستحيلاً.

لذلك يجب على الأطباء ألا يتركوا المريض بمفرده، بل لابد من وجود أشخاص يتحدثون معه، ويعرفونه الصواب.

فهذا هو الرازي العالم الفذ لم يترك علماً من العلوم إلا وتحدث عنه ببراعة وإتقان، ويبدي فيه ملاحظاته ونقده دون تحيز لاحد ....

الرازي ومؤلفاته الطبية:

يعتبر الرازي أول طبيب عربي بلغت كتبه في مجال العلوم الطبية ما يقرب من 55 كتابًا، وهذه المؤلفات أحدثت أثرًا كبيرًا في طرق العلاج والتشخيص والمداواة، لما فيها من دقة وخبرة علمية واسعة وأهم مؤلفاته الطبية هي:

1 - كتاب الحاوي في الطب:

أشهر المؤلفات القيمة وأبعدها أثراً في عالم الطب، وأدل على علمه وفنه فهو موسوعة عالجت الموضوعات الطبية، استشهد الرازي فيها بمختارات من المراجع اليونانية والفارسية والهندية، والسريانية العربية مع التزامه الدقة في النقل وإرجاع كل مرجع إلى صاحبه، وهذا الكتاب يتكون من قسمين:

المبحث الأول: في الأقراباذين وهذا القسم ظل المرجع الرئيسي في العلاج لدى أوربا كلها[لخ].

المبحث الثاني: في ملاحظة سريرية تتعلق بدراسة سير المرض مع العلاج المستعمل، وتطور حالة المريض، ونتيجة العلاج، وقد حدد ماكس ماير هوف[بر] 33 ملاحظة سريرية أكثر متاعاً وطرافه، وقد أمضى الرازي خمسة عشر عاماً في تأليف هذا المؤلف الضخم ، وسجل فيه مشاهداته السريرية ويتكون هذا المؤلف من ثلاثة وعشرين مجلداً، وقد تناول الرازي في هذا الكتاب طريقة معينة في تناول جميع الأمراض تبدأ بالأسباب والأعراض والعلاج وذكر أقوال الأقدمين كلهم عن المرض من أبقراط إلى جالينوس، ثم يذكر رأيه الذي يبدأ بقوله لي احتزازاً من أن ينسب إليه أراء غيره وهذا منتهى الأمانة في النقل وكتابة هذا حوى كل ما كتب في الطب ، ولكن هنا ملحوظة تؤخذ على هذا المؤلف وهي عدم التبويب والترتيب، لذلك يعتبر كتاب الحاوي اكبر كتاب عربي ظهر في مجال الطب[تر]. واكبر حجماً من كتاب القانون لابن سينا من حيث المادة والمضمون، ويقع الكتاب في ثلاثين مجلداً[ير].

ونظراً لأهمية هذا الكتابة ترجمة إلى اللاتينية "فرج بن سالم عالم 1279م بناء على طلب الملك شارل دي أنجو وانتشر هذا الكتاب في أوربا في المدارس والجامعات حتى القرن الرابع عشر للميلاد، وتظهر إبداعات الرازي في هذا المؤلف حول دقة ملاحظاته في استخراج النتائج من معطيات البحث الإكلينيكي"[سم].

---

(1) ماكس مايرهوف: التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ترجمة د/ عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1946، ص84 وما بعدها.

(2) بول كراوس: رسائل فلسفية: مصدر سابق ص 110

(3) ابن خلكان: وفيات الأعيان مصدر سابق ص 244

(4) براون: الطب العربي ترجمة داوود سليمان على، بغداد 1946 ص 108.

(5) جورج قنواتي: تاريخ الصيدلة والعقاقير، دار المعارف القاهرة، 1958، ص 134.

2 - كتاب المنصوري في الطب:

لم يقصر الرازي بحثه على الطب القائم على الناحية الفسيولوجية والتشريحية كما في كتابه المنصوري، وإنما ربط الطب بالدراسات النفسية[لخ] وكشف عن أثرها في العلاج والتطبيب، وهو بذلك يمتاز عن أطباء عصره.

ويحتوي كتاب المنصوري على عشرة مقالات تبدأ بتشريح أعضاء الجسم وينتهي بعلاج الحمى، وقد انتقد "المجوس" صاحب كتاب كامل الصناعة كتاب الرازي لشدة إيجازه وأدى ذلك إلى إغفال أمور عديدة مثيرة.

ولكننا نعلم أن الرازي كان لا يلجأ إلى كتابة كل معلوماته في مؤلف واحد، وكثيراً ما رسم بنفسه منهجاً معتدلاً في تأليفه[بر].

وقد قام الرازي بإهداء هذا المؤلف إلى المنصور بن إسحاق حاكم مدينة الري، وترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية وبقي معمولاً به عند الأطباء في أوربا في الجامعات حتى القرن السابع عشر للميلاد.

3 -كتاب الجدري والحصبة:

فتح الرازي بهذا الكتاب حقلاً من المعارف الطبية لم يطرقه أ حد من قبل في أول محاولة علمية لتشخيص الأمراض المعدية، وأول مجهود طبي استطاع التفرقة بين مرضين من حيث قوة التحليل، وبيان كل مرض على حدة، وقد طبع هذا الكتاب اربعين مرة باللغة الإنجليزية بين عام 1494 -1866، لذلك اكتسب الرازي شهرة واسعة لما اكتشفه من استخدام الماء في معالجة الحمى كما هو الحال في الطب الحديث اليوم[تر].

ويعد الرازي أول من كتب في طب الأطفال، وترجمت هذه الكتب إلى اللاتينية وكانت كتبه المرجع لجامعات أوربا في الطب حتى القرن السابع عشر للميلاد وطبقت مرارا في لندن[بر].

---

(1) ابن ابي اصبيعة: عيون الأنباء مصدر سابق ص 421.

(2) عبد اللطيف العبد: أصول الفكر الفلسفي، مرجع سابق ص 43.

(3) غوستاف لوبون: حضارة العرب مرجع سابق ص 517.

(4) الرازي: الحاوي في الطب، مصدر سابق ص 69 وما بعدها.

4 - كتاب الشفاء في ساعات "برء الساعة".

آلفه الرازي استجابة لرغبة الوزير "ابن القاسم بن عبد الله" حول مناقشة حول المدة اللازمة لعلاج المريض، ولما قال أحد الأطباء الحاضرين إن علاج المرضى يحتاج إلى الزمن الذي إحتاجه للظهور، قال الرازي لقد ذكروا هذا ليسمحوا لأنفسهم بزيارة المريض عدة مرات ليحصلوا على مبالغ كبيرة، وأدهش هذا الوزير، وطلب منه أن يؤلف كتاباً في ذلك يشتمل على جميع العلل التي تبرأ في ساعة وسميته "برء الساعة" وذكرت بعض العلل وليس كلها تبرأ في ساعة واحدة ولذلك ذكرنا عضواً وتركنا أعضاء كثيرة ثم ذكرناها، وقدمت ذكر ما يجوز أن يبرأ في ساعة.

وخلاصة القول: أن الرازي بعبقريته المبدعة أفاد الطب العربي سواء من ناحية المعلومات والملاحظات الطبية المتفرقة والتي جمعها في كتبه، وخاصة كتاب "الحاوي" والذي يعد موسوعة عالمية، أو من ناحية ما أضافة من مبتكرات طبية جديدة كل هذا جعل الرازي وكتبه عبارة عن قناديل تضيء أوربا عبر العصور.

جـ - اسهامات الرازي في مجال الكيمياء:

1. حول الكيمياء ونشأتها.
2. مآثر العرب في مجال الكيمياء.
3. الرازي والكيمياء.
4. الرازي ومؤلفاته الكيميائية.

1 - حول الكيمياء ونشأتها:

لا أغالي إذا قلت أن علم الكيمياء[لخ] علم عربي أصيل صنعه العرب المسلمون وأسسوا أركانه الحديثة بتجاربهم ومستحضراتهم وابتكاراتهم، وجعلوا منه علماً قائماً على التنقيب والبحث والاختيار بعد أن كان مدعاة للنظريات الفاسدة والخرافات.

---

(1) محمود الحاج قاسم: الموجز لما أضافة العرب في الطب والعلوم المتعلقة به، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1974 ص 241

لذلك فالكيمياء تنسب إلى المصريين القدماء، فلو حللنا بأجهزتنا الحديثة شيئاً من الأملاح والمحاليل التي استعملوها لحفظ أجسادهم تحليلاً كيماوياً فنستطيع أن نجزم بأنهم وصلوا إلى درجة عالية في هذا العلم وإلى نتائج معينة تدل على سبقهم في هذا العلم.

ويذكر ابن النديم[لخ] وبمصر ابنية يقال لها البرابي من الحجارة العظيمة المفرطة الكبر .... وهي بيوت على أشكال مختلفة، وفيها مواضع للصحن والسحق، والحل العقد والتقطير، تدل على أنها عملت لصناعة الكيمياء، وفي هذه الأبنية نقوش وكتابات بالكدانية والقبطية لا يدري ما هي ....

ونجد أن أشهر الصناعات الكيميائية التي أبتكرها المصريون صناعة العقاقير والزجاج والألوان وصناعة النسيج وغيرها من الصناعات المتعددة[بر] ويمكن النظر إلى نشأة الكيمياء على إعتبار أنها نتائج لمحاولات الإنسان صنع الذهب، واكتشاف خصائصه، وكانت هذه العمليات والإسرار الكيميائية من اختصاص الكهنة، وأن معرفة العالم بالصنعة كانت على يد المصريين واختص بها "تحوت إله القمر" عندهم هذا الذي يلقبه اليونان بإسم "هرمس"[تر]

لذلك نستيطع أن نقول أن علم الكيمياء وفن الصنعة راجع فضلة إلى المصريين القدماء وعنهم أخذه اليونان والهنود.

وعلم الكيمياء هو العلم المصري[بر] الذي نبت في أرض مصر واشتق اسمه من إسمها القديم "كمت"[سم] أي الارض السوداء ويقصدون بها النظر في المادة أي الأكسير".

---

(1) ابن النديم، الفهرست، مصدر سابق، ص 353

(2) جورج فوريس: تاريخ العلم والتكنولوجيا، ترجمة أسامة الخولي، القاهرة، 1967ص 139

(3) انظر ترجمة له بكتاب الفهرست، مصدر سابق ص 352.

(4) انظر مقدمة ابن خلدون "Ency,Lartat – Kimya"
Das Alta Hgypten. Heidelberg, 1920. p 14

(5) قيل أصل هذه الكلمة عربي مشتق من "كمي" بمعنى استتر، ذكر معجم لاروس الفرنسي أن الكلمة يونانية الأصل مشتقة من "كيموس" بمعنى العصارة

ومن المؤلفين العرب من خالف هذا الرأي ومنهم الخوارزمي[1] الذي ذهب إلى أن هذا اللفظ عربي أصيل مشتق من الفعل كمي يكمي ويقال كمي الشهادة أي سترها وأخفاها ، على حين أن "الصفدي" في شرحة للأمية العجم يذكر أن هذه اللفظة معربة من اللفظ العبراني وأصله "كيم به" ومعناها أنه من الله[2].

وعن طريق المصريين أخذت الصين هذه الصنعة وأهتموا بتحويل المعاون الخسيسة إلى معادن نفيسة وعنهم اخذها الهنود وعنها تسربت هذه الصنعة مرة ثانية إلى مصر في مدرسة الأسكندرية والحقيقة أن اتجاه المصرية والصين والهنود كان منصباً على إيجاد دواء يكون بمثابة "الأكسير" الذي يطيل الحياة ويحفظ الأجساد إذا انتقلت إلى الدار الأخرى لتحيا حياتها الأبدية

واستمع إلى رأي "ray" العالم الهندي الذي يقول أن الصحة والثروة والنشاط وطول الحياة بالنسبة إلى الشخصية الهندية تعد من الغايات الأساسية القائمة بنفسها في الطب والكيمياء بل هما طريقان إلى الهدف الأسمى والغاية القصوى للحياة المتعالية على سفاسف الواقع المادي[3].

وهذا "كوهانج" العالم الصيني الشهير الذي ذكر أن الهدف من الكيمياء هو تحضير الذهب الخالص من المعادن الرخيصة والذي يكسب من يتعاطاه خلوداً ، ممارسة بعض العمليات الكيميائية التي تساعد على تركيب أدوية تمنح الخلود وتحققه[4].

وأخيراً يذهب "هوليارد" إلى أن الصناعات التي إزدهرت في مصر القديمة كانت تقوم على المعرفة بخواص المواد الكيميائية وبالنظر إلى ما حصلوه في هذا المجال،

---

(1) الخوارزمي: مفاتيح العلوم، تحقيق فولتين، القاهرة الباب التاسع 1342 هـ ص 146.

(2) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج2 القاهرة 1943 ص 525

(3) A. Ray: History of Chemistry
in Anc .. and mod . India, Calcutta 1956 p. 113

(4) مور ف . ج: "تاريخ الكيمياء" ص 3، 4.

obeikandl.com

يمكننا أن نعتبر المصريين أول من زودونا بأسس الكيمياء، وأول من أوجدوا الكيميماء الصناعية وكان لهم السبق الاول في هذا المجال[لخ].

.Industrial Chemistrg

مآثر العرب في مجال الكيمياء:

لقد إهتم علماء العرب المسلمين بدراسة الكيمياء، وتميزوا فيها حتى توصلوا لفن تركيب الأدوية أو ما يعرف "بعلم الأقراباذين"

ويذكر "رام لاندو" في كتابه الإسلام والعرب[بر] أن معظم أطباء العرب كان لهم عناية كبيرة بعلم الأقراباذين أو فن تركيب الأدوية وأضاف "جلال مظهر في كتابة حضارة الإسلام وأثرها في الترقي العالمي[تر] قائلاً كان نبوغ العرب في الكيمياء سبباً في تمكنهم من تحقيق إنجازات هامة في فروع المعرفة المتصلة بهذا العلم، فظهرت الأدوية الكيميائية بصورة فعالة وانفتحت أبواب عصر جديد في فن العلاج ويقول جابر الشكري في كتابة الكيمياء عند العرب [بر].

يكون هذا الحقل "الأدوية والأعشاب الطبية" إنجازاً أخر للعرب والمسلمين يضاف إلى إنجازاتهم العلمية الرائعة، فلقد برع الحكماء في استخلاص الأدوية من النباتات الطبية، وحضروا المعاجين والمساحيق والأقراص والأدوية ووصلاً بتنقيتها إلى درجة من النقاوة تضاهي في بعضها تلك التي يتم تحضيرها في المختبرات الكيماوية الحديثة، ونحن نعترف بأن العرب هم الذين خلقوا الكيمياء التطبيقية والتجريبية بمعناها العلمي المعروف لنا وطوروها حتى بلغت مكانه عالية دفعت إلى اكتشاف الكيمياء العضوية والغير عضوية.

---

(1) هولميارد : أ.ج واضعوا علم الكيمياء ص9

(2) روم لاندو: الإسلام والعرب، ترجمة منير بعلبكي ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1962، ص 260.

(3)جلال مظهر: حضارة الإسلام وأثرها في الترقي العالمي مكتبة الخانجي القاهرة، سنة 1974 ص 28

(4) جابر الشكري: الكيمياء عند العرب ص 242.

obeikandl.com

ويؤكد لنا "ديورانت" في كتابة "قصة الحضارة"[لخ] أن الكيمياء في صورتها العليمة إنجاز حققه المسلمون العرب إذ أدخلوا عليها الملاحظات الدقيقة والتجربة العلمية الصادقة المتقنة واخترعوا الأنبيق وفرقوا بين الحوامض والقلويات واكتشفوا العلاقة بينهما، ووصفوا كثيراً من العقاقير، فهل هذا كله واقع الظروف أم واقع ذكاء العرب النظري لذلك أصبحت الكيمياء علمًا صحيحًا بفضل جهود العرب واكتشافاتهم العلمية الدقيقة ونزعتهم العلمية وميلهم إلى البحث والتدقيق.

وذكر "دابر" أن العرب هم الذين اخترعوا ماء الفضة "حامض النيتريك"[بر] وزيت الزاج "حامض الكبريتيك" وحجر جهنم "نترات الفضة" والراسب الأحمر "أكسيد الزئبق" وملح البارد "كربونات"، البوتاسيوم" ونستخدم كل ذلك في المعالجات الطبية وصنع العقاقير فكان العرب أول من نشر تركيب الأوية والمستحضرات المعدنية وتنقية المعادن[تر] وغير ذلك من المركبات التي تقوم عليها كثير من المصنوعات الحديثة مثل الصابون والمفرقعات ودبغ الجلود واستخراج الراوئح العطرية وصقل المعادن[ير].

واعتمد العرب في تجاربهم على عدة آلات ووسائل كيمياوية مثل الأنبيق وهو عبارة عن قرعة وأنبوبة وقابلة[سم] والميزان حتى يحددوا النسب بين المواد والعلاقات الوزنية.

ويرى بعض علماء الغرب أن محاولة العرب كشف الأكسير الذي يهب الحياة ويعيد الشباب، ومحاولتهم معرفة حجر الفلاسفة الذي يحول المعادن إلى ذهب، وقد دفعهم التقطير والتدويب وكشف الكحول من المواد السكرية والتشويه الخاثرة.

ومن فضل العرب في مجال الكيمياء إدخالهم طريقة فصل الذهب عن الفضة بالحل بواسطة الحامض، وهذه الطريقة مازالت متبعة حتى الآن في تقدير عبارات الذهب والسبائك الذهبية.

---

(1) ديوارنت: قصة الحضارة ص 244

(2) يسمى أحياناً الماء الملكي.

(3) جاك ريسلر: الحضارة العربية ص 173.

(4) محمد الصادق عفيفي: الإسلام والنظم المالية والاقتصادية، مكتبة الخانجي القاهة 1974 ص 158.

(5) الخوارزمي: مفاتيح العلوم: مرجع سابق ص 257

obeikandl.com

ومن مآثر العرب أيضاً في مجال الكيمياء تقسيمهم المواد الكيميائية إلى أربعة أقسام هي: المواد المعدنية، والنباتية، والحيوانية، المشتقة واستخدم العرب هذا العلم في الطب والصناعات العقاقير وتركيب الأدوية وتنقية المعادي وصقلها.

يقول ابن الأثير في ذلك أن العرب استعملوا أدوية إذا طلب الخشب بها امتنع احتراقه، واشتهروا بصناعة الزجاج والتفنن فيه وعلى هذا نجد أن أول من اهتم بالكيمياء في العرب ونقل كتبها هو خالدين يزيد، وكان له تجربة في صنعه الكيمياء والطب وكان بارع فيها وعمل على تحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب، ويعتبر أول من ترجم كتب الطب والنجوم والكيمياء.

ويقول عنه صاحب الفهرست، وكان خالد بن يزيد فاضلاً في نفسه محبًّا للعلوم خطر بباله الصنعة فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونان ممن كانوا ينزلون بمصر وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي وكان هذا أول نقل في الإسلام(لخ).

ومن مصنفاته الكيميائية كما أوردها ابن النديم، كتاب الحرارات، كتاب الصحيفة الكبير، وكتاب وصيته إلى ابنه في الصنعة(بر).

ومن الرواد الذين اهتمو بالكيمياء أيضاً وكان لهم باع طويل فيها هو جابر بن حيان أستاذ علم الكيمياء والذي قال عنه "بريتلو" أن لجابر بن حيان في الكيمياء مالأرسطو في المنطق.

ويذكر "باكون" أيضاً أن جابر بن حيان يعد معلم العالم في الكيمياء فلقد أحدث جابر بن حيان أنقلاباً في عصره أثار الدهشة في عقول الناس من الابتكارات التي أحدثها في مجال الكيمياء فهو يعتبر من أعزم رواد العلوم التجريبية لإبتداعة طرقاً للوزن والتقدير فجعل لكل طبيعة من الطبائع ميزاناً ولكل جسد من الأجساد ميزاناً وإهتدى إلى استخراج حامض الكبريتيك(تر) بتقطيره من الشبه، وحامض النيتريك والصودا الكاوية وكبريتات الصوديوم كما استطاع جابر أن يصل إلى التقطير

(1) ابن النديم، الفهرسيت، مصدر سابق، ص 354.

(2) يرجع اكتشافه إلى الرازي.

(3) الرسالة الجامعية: طبعة دار الكتاب اللبناني ص 3 وما بعدها.

الجزئي الذي يخضع للنظر والملاحظة والاستنباط حتى قيل عنه أنه قطر الماء سبعمائة مرة ووصل أثناء هذا التقطير إلى كثير من الأحماض والقلويات لحمض الخليك وكربونات الرصاص، وإستخدام ثاني أكسيد المنجنيز في صناعة الزجاج ونجد أن جابر قد خلف أرسطو في نظريته عن تكوين الفلزات وجعلها أكثر ملائمة للحقائق العلمية المعروفة وشرح تعديله هذا في كتابه "الإيضاح" وخرج بنظرية جديدة عن تكوين الفلزات.

فالكيمياء دواء شريف وجوهر لطيف ينقل الأشياء المعدنية من أدناها إلى أعلاها أي ينقل الأسرب "الرصاص" الذي هو أقل المعادن قيمة إلى أفضل الغايات وهو الذهب أشرف المعادن وما ينقل البلور إلى الياقوت ... فلذلك ضرب به المثل وقبل له الأكسير ألأول والكيمياء الأكمل(لخ).

ومن شدة حب العلماء العرب بالكيمياء قد بسطوا أشعارهم عليها ومن هؤلاء الطفرائي صاحب الأمين العجم 515 هـ - 1121 م والذي يقول فيها

وعرفت أسرار الخليفة كلها علماً أنالي البهيم المظلما
وورثت هرمس سر صنعته الذي مازال ظناً في الغيوب مرجما
وملكت مفتاح الكنوز بحكمة كشفت لي السر الخفى المبهما

وأخيراً يقول "هوليارد"

لقد قدم كيماويو العرب الجوهر والأساس لهذا العلم الناشئ واستطاعت أوربا أن تبدأ بحوثها الكيميائية على أساس واقعي وبناء نظري مشتق، وتأكيد لقيمة الكيمياء المباشرة في حياة الفرد.

الرازي والكيمياء:

يعد دور أبي بكر الرازي في مجال الكيمياء دوراً عظيماً لذا نجده أولى علم الكيمياء عناية عظيمة لعلاقتها الوثيقة بعلم الطب، وكان لدى الرازي قناعة بأن

(1) هوليارد أ.ج: الكيمياء حتى عصر " التون: ص 30.

شفاء المريض يرجع إلى إثار التفاعلات الكيميائية داخل جسم الإنسان، لذلك حاول القضاء على الخرافات التي كانت مسيطرة على علم الكيمياء بين معاصرية.

ويذكر جابر الشكري في كتابة "الكيمياء عند العرب"[لخ] لقد دفع الرازي البحوث الكيميائية إلى الأمام فقد جمع بين الطب والكيمياء وطبق الكيمياء على الطب لذلك يعتبر الرازي مؤسس الكيمياء الحديثة في الشرق والغرب ويذكر جلال مظهر نقلاً عن الرازي في كتابه حضارة الإسلام وأثرها في الترقي العالمي كان يقول الرازي "أنا لا أسمي فيلسوفاً إلى من كان قد علم فن صنعه الكيمياء، لأنه قد استغنى عن التكسب من أوساخ الناس وتنزه عما في أيديهم ولم يحتج إليهم"[بر]

ونجد الرازي يؤمن مثل معاصريه أمثال أستاذه جابر بن حيان بفكره تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب، ولكن الحق الذي يجب أن تذكره أن الرازي كان أكثر دقة وتنظيماً من جابر بن حيان[تر] وربما يكون سبب ذلك اشتغال الرازي بالصياغة منذ صغره، وما يتطلب ذلك من مهارة أثرت فيه أثناء ممارسته العمليات الكيميائية.

وكان الرازي ينصح بعدم استخدام العقاقير إذا كان من الممكن استخدام الأدوية البسيطة وإن لم يستفد المعالج بتلك العقاقير استعاض الرازي منها بالكيماويات، لذلك يعتبر الرازي من أوائل الكيماويين الذين عالجوا بالكيمياء علاجاً علمياً وجعلها في خدمة مهنة الطب.

فالرازي كان يصف الأدوات والآلات التي يستعملها ثم طريقة العمل بها ووصفها.

ويذكر بعض علماء العرب في كتابهم الموجز في تاريخ الطب والصيدلة[يز] أن الرازي حضر بعض الأحماض مثل حامض الكبريتيك وسماه زيت الزاج أو الزاج

---

(1) جابر الشكري: الكيمياء عند العرب، ص 263

(2) جلال مظهر: حضارة الإسلام، وأثرها في الترقي العالمي، مرجع سابق ص 284

(3) ودلف: عرض تاريخي للفلسفة والعلم، ترجمة محمد عبد الواحد، القاهرة 1939 ص 59

(4) محمد كامل حسين: الموجز في تاريخ الطب والصيدلة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ص 357 وما بعدها.

الأخضر، كما حضر الكحول بتقطير المواد النشويه والسكرية المتخمره وكان يستعمله في الصيدليات والأدوية.

وكذلك يعتبر الرازي أول من قدر الكثافة النوعية لعدد من السوائل مستعملاً ميزاناً سماه الميزان الطبيعي.

فالرازي يعتبر أول من له السبق في تحضير كثير من المواد ويظهر ذلك في قول "فاضل أحمد الطائي" في كتابه "أعلام العرب في الكيمياء"[1] يعتبر الرازي أول من استخدم الفحم الحيواني في قصر الألوان، ولا يزال هذا النوع من الفحم مستخدماً في إزالة الألوان والروائح من المواد العضوية، وهو أول من ميز بين الصودا والبوتاس أي بين كربونات الصوديوم والبوتاسيوم رغم تشابههم الكبير في خواصهما الطبيعية والكيماوية، كما وصف أوكسيد الترنبخور وصفاً دقيقاً، وحضر الجبس من حرق كبريتات الكالسيوم المائية واستخدامه في تجبير العظام.

وهناك حقيقة لابد وأن تذكرها وهي أن الرازي يعد أول من وضع تقسيماً للمواد الكيماوية وصنفها إلى أربعة أقسام:

أولاً: المواد المعدنية أو المعادن وتنقسم إلى ست أنواع:

أ -**الأوراح**: ويقصد بها المواد المتطايره وهي سهلة التخبير وتتسامى بسهولة لتأثير الحرارة فيها مثل الزئبق، النشادر وكبريتدات الزرنيخ.

ب - **الأجساد**: ويقصد بها الرازي الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والخارصين.

جـ - **الاحجار**: مثل المرقشيتا وهو أحد كبريتدات الحديد، ويتصف بلون أصفر ولمعة معدنية.

د - **والدوحي**: وهو أكسيد الحديد المغناطيسي الأسود.

هـ - **والتويا**: سبيكة من سبائك الخارصين.

---

(1) أحمد الطائي: أعلام العرب في الكيمياء، القاهرة، 1973 ص 142.

و - **الشك**: وهو بياض الزرنيخ.

ز - **الزاجات**: وهي الزاج الأسود والزاج الأبيض والقلقديس "كبريتات الخارصين" والزاج الأخضر "كبريتات الحديدوز" والزاج الأزراق "كبريتات النحاس".

حـ -**البوارق**: وهي الأملاح التي يدخل فيها عنصر البورون وهي بورق الخبز والنطرون، وبورق الصاغة والتنكاره خليط من الملح والبورون وبورق الغرب صمغ أكاسيا.

ت - **الأملاح**: كالملح الحلو ملح الطعام الملح المر، الملح الأفرنجي أي كبريتات الماغنسيوم والملح الصخري "كبريتات الصوديوم المتبلورة" والقلي وملح البلوط "رماد البوط" ويحتوي على أملاح البوتاسيوم.

ثانياً: المواد النباتية:

وأهمها الأشنان وعند حرقه يستخرج منه رماداً يستخدم في القلي وميز بين ملحين ناتجين من حرق الأعشاب البرية والبحرية وسمى الأول ملح الرماد والآخر القلي.

ثالثاً: المواد الحيوانية:

وتشمل الشعر والقحف والمخ والمرارة والدم واللبن والصوف والقرون والعظام.

رابعاً: المشتقات أو العقاقير المولدة:

وتشمل أول أكسيد الرصاص وأكسيد الرصاص الأحمر والزنجار خلالت النحاس "وأكسيد النحاص الأسود والتوتيا "أكسيد الخارصين" ... وأكسيد الزرنيخ وزعفران الحديد "أوكسيد الحديد".

لذلك فالرازي أول من إهتم بتحضير كثير من الأحماض مثل حامض الكبريتيك وسماه الزاج الأخضر ونقله عن كتبه البير الكبيروسماه كبريت الفلاسفة[1] (لخ).

ولقد إهتم الرازي بالأجهزة الشائعة في التجارب وقسمها إلى قسمين إحدهما يستخدم في إذابه المعادن والآخر تتم به المعالجة اليدوية للمواد ومن أهم الأجهزة والأدوات التي استخدمها الرازي هي:

---

(1) قدري حافظ طوفان: العلوم عند العرب، مرجع سابق ص 128.

openkandil.com

الإثال:

وهو آلة للتصعيد على شكل بوتقة لا قاع لها توضع على إناء يتضمن المادة المراد تصعيدها.

العمياء:

إناءان على شكل نصف كرة كل منهما: توضع المادة في إحداهما وتعطي بالثاني ثم نلحم ما بينهما بالطين ونحفر حفرة، ونضع فيها نار ويلقي بالعمياء في الحفرة وتغطي بالأعشاب وتترك حتى تبرد.

الكابستان:

وهو وعاء من الفخار توضع فيه المواد المتفاعلة ويوضع فوقه إناء فيه ماء بارد فيتم تكاثف المواد المتسامية على الإناء.

وكان الرازي يراعي في تجاربه الكيميائية عدة عوامل وهي:

التنقيه:

أي إزالة الشوائب عن المادة.

التقطير:

ويتضمن تحويل السائل بواسطة الحرارة إلى بخار ثم تكيف البخار مرة ثانية إلى سائل.

التشويه:

ويستخدم فيها الهواء الساخن حيث توضع المادة في صلابة بعد بلها بالماء.

الملغمة:

وهي مزج المعادن بالزئبق حيث يتحد الزئبق بها وهي عملية تمهيد لعمليتي التكليس والتصعيد.

التسامي أو التصعيد:

وهو تحويل المواد الصلبة إلى مواد غازية ثم تتكاثف على هيئة بلورات صلبة دون أن تنصهر وتتحول إلى سائل.

openkandi.com

التكليس:

وفيها يكون التسخين مباشراً حتى تتحول المادة إلى مسحوق.

التشميع:

وتعني إضافة مواد تساعد على إنصهار المواد الأخرى مثل إضافة كربونات الصوديوم إلى الرمل سهل إنصهار الاخير وتمت عملية صنع الزجاج.

التبلور:

إذابة المادة في إحدى المذيبات المناسبة في درجات حرارة عالية وعندما يبرد المحلول تنفصل بلورات المادة المذابة عن المحلول نفسه بصورة نقية وأضافت زيغريد هونكه في كتابها شميس الله تسطع على الغرب أن الرازي كان يحرب كل العقاقير الجديدة من خلال تجاربه الكيميائية قبل أن يصفها للناس فيدرس تأثيرها على الحيوان وينتهي إلى النتائج التي يستصوبها(لخ).

ونستخلص من ذلك أن كتابات الرازي في مجال الكيمياء خير شاهد على نبوغه وإهتمامه بالحقيقة الموضوعية، وهذا يدفعنا إلى أن الرازي باستثناء جابر بن حيان أستاذه في الكيمياء هو ممثل النزعة العقلية وهو المتمم لسلسة الفلاسفة اليونانيين الذين عاشوا ما بين القرنيين الرابع والسابع قبل الميلاد، فكان عبقرياً لرفض السحر والتنجيم وعدم قبوله شيء لا يمكن البرهنة عليه بالتجربه على نحو يصبح عمه دافعاً محققاً(بر).

وهذا ما جعله في رأي بارتنجيتن(تر) كيميائياً ماهراً في إعتماده على التجريب العملي لذلك بلغت مؤلفات الرازي الكيميائية القمة في أوربا وكانت تستخدم كودائع لقيمتها العلمية، وهذا ما جعل سارتون يذكر أن أثر الرازي ونفوذه العلمي قد نفذ بطريقة مباشرة خلال عدة قرون من الجهد الإنساني الهادف في الشرق والغرب(بر).

---

(1) هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب، مرجع سابق، ص 251

(2) هوليمارد: أ.ج واضعوا علم الكيمياء ص 67.

(3) بارتنتجتن: موجز تاريخ الكيمياء ص 29

(4) سارتون: مقدمة لتاريخ العلم، المجلد الأول، ص 587

كما يعد الرازي من الرواد الأوائل الذين كانوا طليعة المدرسة الكيميائية الطبية في عصر النهضة[لخ].

Iatrochemists of the Renaissance

مؤلفات الرازي الكيميائية:

وضع الرازي كتباً كثيرة في مجال الكيمياء، وأختلف الباحثون في تحديدها فمنهم من ذكر أنها تقرب من أثنى عشر كتاباً[بز] ويذهب البعض الآخر إلى أن الرازي ألف أربعة عشر كتاباً[تز].

على كل حال فنحن نميل إلى الرأي الأخير لأن ذلك قد ذكره الرازي في كتابه سر الاسرار[يز].

ونلاحظ أن أشهر مؤلفاته الكيميائية هما كتابان رئيسيان:

1. كتاب سر الأسرار في الكيمياء.
2. كتاب الأسرار في الكيمياء.

ونلاحظ فيما بعد أن هذان الكتابين قد تم طبعهم في مجلد واحد تحت إسم "سر الأسرار"، ويعد هذا الكتاب من الكتب التي وضعها الرازي في الكيمياء وفي هذا الكتاب عمل الرازي على تخليص الكيمياء من الرمزية والغموض واتجه إتجاهاً استقرائياً علمياً،واقتصر على النتائج التي هدته إليها التجربة العلمية، لذلك تضمن هذا الكتاب الطريقة والخطة التي يسير عليها في إجراء تجاربه، فكان يبتدى بوصف المواد الخام ثم يصف الآلات والأدوات التي يستعين بها عمله، ثم يصف الطريقة التي يسلكها ويسجل ملاحظاته عليها، والتي تظهر له أثناء تحضير المركبات ثم ينتهي إلى تدوين النتيجة التي وصل إليها.

---

(1) أنظر المرجع السابق وكذلك داميير، تاريخ العلم ص 81

(2) راجع القفطي: مصدر سابق، ص 272 وكذلك ابن أبي أصيبعة جـ - ص 316.

(3) ابن النديم الفهرست، مصدر سابق ص 308 وكذلك بن جلجل "طبقات الأطباء والحكماء ص 77"

(4) الرازي: سر الأسرار، مصدر سابق ص1

openkanari.com

لذلك يعتبره "سارتون" أول الأطباء الكيماويين الذين إهتموا بالطب الكيميائي، وقد وصف في هذا الكتاب كيفية تركيب هذه الأجهزة التي كان يستخدمها وهي تشبه حالياً ما نشاهده اليوم ويعرف "بالمختبرات الحديثة" ويضم كتاب "سر الأسرار" لأبي بكر الرازي ثلاثة أجزاء:

1 - **معرفة العقاقير**: وقسمها إلى ثلاثة فصول:

أ - عقاقير معدنية ب - عقاقير حيوانية ج -عقاقير نباتية

معرفة الآلات: وقد ذكر الرازي فيها ما يقرب عن عشرين جهازاً، شارحاً طريقة عمل كل جهاز على حدة، وعمل الأجهزة في صهر المعادن، تذويب الأجساد وفي تحضير الأشكال الصيدلانية.

تدبير العقاقير:

3 - معرفة التدابير: التجارب:

ويقصد بها مجموعة الأعمال الكيميائية والصيدلانية المؤدية لتحضير الأدوية أو المركبات الكيميائية.

وعن مؤلفاته الأخرى في مجال الكيمياء فهي كثيرة، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر.

1 -المدخل التعليمي
2 -إثبات الصناعة
3 -كتاب التدبير
4 - كتاب شرف الصناعة
5 -كتاب الأكسيد
6 - كتاب الشواهد
7 - كتاب سر الحكماء
8 - كتاب محن الذهب والفضة
9 - كتاب التبويب
10 - رسالة إلى الوزير القاسم بن عبد الله
11 -الرد على الكندي في رده على الكيمياء
12 - كتاب رسائل الملوك
13 - كتاب الحجر الأصفر
14 - كتاب الأحجار

15 - كتاب المدخل البرهاني

6 -كتاب الرد على محمد بن الليث الرسائلي في رده على الكيميائيين.

وخلاصة القول: أن الرازي الطبيب الكيميائي قد عرف واجبه حق المعرفة وقدس رسالته كل التقديس، فهو أول من خلص الكيمياء من الشعوذه والغموض وهو الموسوعي الذي إستوعب معارف كل سالفيه أمثال خالد بن يزيد وجابر بن حيان وهضمها وقدمها للإنسانية في أحسن تقديم.

فهو المراقب والمفكر والبحاثه الكيماوي المستقل، والمجرب الناجح الذي جعل الكيمياء تقوم على التجربه والملاحظة والإختيار، فليس كل ما هو نظري صحيح ولكن لابد من إخضاع كل شيء للتجربه حتى نتحقق الصواب، والمعرفة الصحيحة، لذلك يعتبر الرازي أول من توصل إلى تطبيق معلوماته في الكيمياء على الطب، حيث يرى أن الشفاء يكون حادث نتيجة تفاعل كيماوي داخل جسم المريض لذلك فقد أضفى نظاماً في عصره يثير الإعجاب والدهشة.

❖❖❖

obeikandl.com

obeikandl.com